بورتريه

محمد ﷺ

في عيون الأدب العربي



مصطفى بيومي

بورتريه

محمد رسول الله

فى عيون الأدب العربى

1



المنيا - شاهين - 6 ش المجرى ت 346713

رقم الإيـداع: 98/5631
الترقيم الدولى: 4 - 11 - 5822 - 977



في عيون الأدب العربي

مصطفى بيومي

تقديم

لا يسعى الباحث فى الصفحات التالية أن يُقدم سيرة للرسول كما فعل ابن هشام فى "سيرة النبى" أو دراسة تحليلية لحياته الثرية كالتى قدمها الدكتور هيكل فى "حياة محمد" أو كما فعل ويفعل عشرات من الكتاب الباحثين فى حياة النبى العظيم.

لا تطمح دراستنا هذه إلا للبحث عن ملامح النبى عليه السلام كما تتجلى فى أدبنا الروائى العربى الحديث والمعاصر، ومما لا شك فيه أن الصورة التى يعكسها هذا الإبداع مستمدة من الواقع المعيش بقدر ما هى مكثفة ومفننة له.

لا أحد من الروائيين الذين تتوقف الدراسة عندهم كان

"يقصد" الكتابة عن الرسول، ولكنه تراكم تحقق بلا وعى فجاء مضيئاً وكاشفاً عن المكانة الراسخة متعددة الأوجه التى يحتلها النبى فى الواقع المتسع -زمنياً ومكانياً- الذى تجسده هذه المؤلفات.

إن خريطة الأدب الروائى العربى من الاتساع بحيث يتحتم على الباحث أن يعترف بأن القراءة المسحية التحليلية الشاملة تفوق طاقته المحدودة، ومن هنا جاء التركيز على مجموعة من الروائيين الذين ينتمون إلى أجيال مختلفة ومدارس فنية متباينة: نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس، عبد الرحمن الشرقاوى، فتحى غانم، غازى القصيبى الذى أرجو أن يكون وجوده عينة دالة لصورة النبى فى الرواية العربية خارج مصر التى ينتمى إليها الكتاب الآخرون.

لا تحتاج شخصية النبى العربى العظيم إلى تقديم، ولا يحتاج الروائيون موضوع الدراسة إلى تعريف. وأرجو أن تكون المحاولة المتواضعة كافية للتعبير عن فكرة يأمل الباحث أن يواصلها مستهدفاً إلقاء الضوء على شخصيات أخرى تركت بصماتها - لأهميتها وخطورتها - على كتاب الرواية وعوالمهم الروائية.

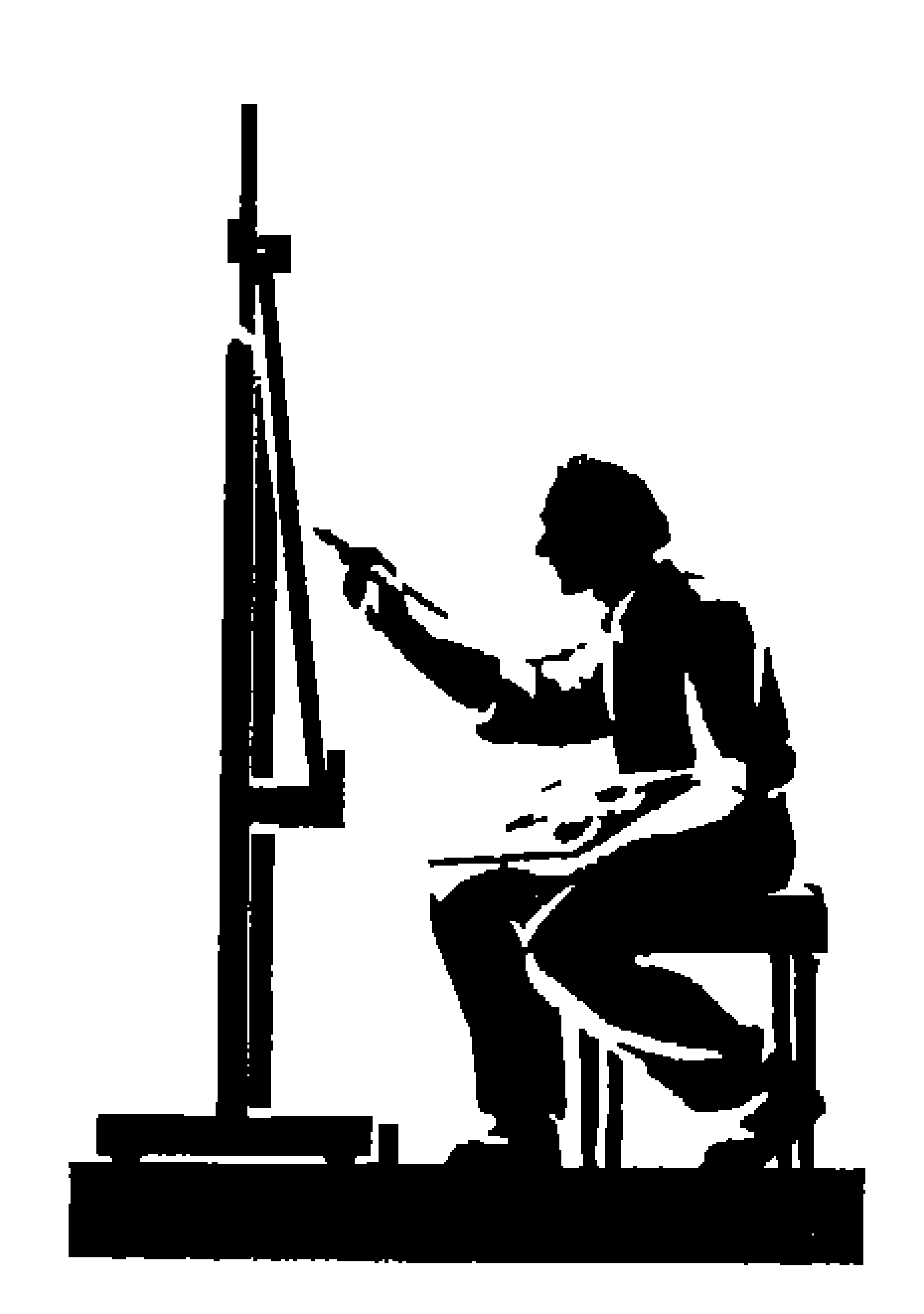
إن عظمة الرسول لا تحول دون تعدد الرؤى، ذلك أن قوام الحياة هو التعددية التى لا تعرف أحادية النظرة. وقد يتفق الجميع على

حبه وتعظيمه والإقرار بأهميته، ولكنهم يختلفون -لأنهم بشر- في تجسيد الحب والتعظيم.

مقولة بسيطة، ولكنها بالغة الدلالة في ظل ممارسات لا تعترف بها. والأمر في النهاية - محض اجتهاد لا يزعم إلا شرف المحاولة.

مصطفى بيومي

الفصل الأول



نجيب محفوظ

تتغلغل شخصية الرسول في نسيج الواقع الذى يعكسه عالم نجيب محفوظ، ومن ثم فهى تؤثر على كافة شخوصه ومختلف أحداثه. فالرسول بمثابة الحكم والمثل الأعلى والقدوة، وهو الوسيلة التى يتسلح بها الكثيرون للتدليل على مصداقية آرائهم، وحياته الخاصة نموذج يتم استدعاؤه والاستشهاد به فى مناسبات متباينة، وأحاديثه وكلماته تتردد على مختلف الألسنة المؤمنة وغير المؤمنة. وفى المفهوم الشعبى للدين يحتل الرسول مكانة سامية مقدسة، فحبه مرادف للإيمان، والمعرفة الأسطورية بسيرته قوام ثقافة ومعتقد، والاحتفال بمولده يتحول إلى مهرجان دنيوى يبتعد كثيراً عن صحيح الدين بقدر ما يقترب من جوهر الحياة الاجتماعية. ولا يخلو الأمر من استثمار متعدد الجوانب للرسول، فهناك من يستغل مولده أو سيرته أو محبة الناس له لتحقيق أهداف ذاتية، ويبقى الرسول حياً متوهجا بعد موته، فيتحول قبره إلى مزار ومقصد للأحياء الذين يعاملونه معاملة الحى.

وينعكس الوجود الطاغى للرسول على لغة نجيب محفوظ عبر

عدة مستويات. منها الصلاة عليه والقسم به، وسيادة التكوينات اللغوية التي يتخللها اسمه.

٭ ٭ ٭

في رحلة ابن فطومة، التي تتجاوز الزمن لاهثة وراء الحضارات والأفكار والأنظمة منطلقة من مفهوم إسلامي، يصطدم الرحالة في دار الحلبة/الرأسمالية بمظاهرة تطالب بالاعتراف بشرعية العلاقات الجنسية الشاذة! وإذ يدافع شيخ الحلبة عن الحرية كقيمة مقدمة، يعترض ابن فطوطة قائلاً بخيبة أمل:

– لو بعث نبينا اليوم لأنكر هذا الجانب في إسلامكم..

فيرد الشيخ متسائلاً بدوره:

– ولو بعث عليه الصلاة والسلام أما كان ينكر إسلامكم كله؟! "رحلة ـ 95"

إن مقولة الشيخ تصدق على كافة الأزمنة بما فيها زماننا الذي نعيش فيه، ولكن الأهم هو اتخاذ الرسول حكماً يميز بين إسلام وإسلام. ذلك أن الرسول هو المثل الأعلى والقدوة والمثال، وهو حكم

على المسلمين وأحوالهم وأفعالهم بقدر ما هو نموذج يحتذى -ذاتياً وموضوعياً – فى حياتنا اليومية وفي سلوكنا وأفكارنا ولغتنا.

وجعفر جعفر الراوى هو أكثر الشخصيات تطرفاً فى عالم جيب محفوظ فيما يتعلق باحتذائه للرسول، فالأمر ينقلب عنده إلى طموح فى الموازاة الكاملة التى تصل إلى درجة التطابق والتقمص! ففى اعترافاته للروائى يقول:

– خطر لى ذات مرة أنه توجد أوجه شبه بين حياة النبى وحياتي!.

ويتريث قليلاً ثم يواصل:

– فقد توفى والدى وأنا دون الوعى وتوفيت أمى وأنا لم أكد أجاوز الخامسة من عمرى فتكفلنى جدى، ثم تصورت خروجى من قصر جدى نوعاً من الهجرة.

ويعترض الروائى:

– ولكن النبى لم يهاجر من أجل المغامرة.

فيرد الراوى مواصلاً:

–كلا.. كلا.. إنه تشابه وليس تطابقاً.. ثم جاء زواجى من

سيدة ذات حسب ونسب تكبرني في العمر، وكيف وجدت في المناخ الذي هيأته لي فرصة طيبة للدراسة والتفكير، تأملت ذلك فخطر لي أنني سأكون صاحب رسالة أيضاً. "قلب - 126"

إن التطرف الذي يسم شخصية جعفر الراوي الحالم بالنبوة ورسالتها، يختلف كثيراً عن الاحتذاء والتمثل الذي يسعى إليه المسلمون العاديون الذين ينظرون إلى الرسول كمثل أعلى، ولعل فهمي أحمد عبد الجواد هو ممثل هذا الاعتدال العاقل. فهو يخاطب أمه عندما تشتعل ثورة 1919 قائلاً:

– لو كان سيدنا محمد حياً ما رضي أن يحكمه الإنجليز.

ولأن الأم لا تستطيع أن تنكر رفض الرسول للاحتلال، ولا تقوى على تحمل نتائج الموافقة، فإنها تقول:

– هذا حق، ولكن أين نحن من الرسول عليه الصلاة والسلام؟. كان الله يعينه بملائكته. "بين - 330"

إن فهمي عبد الجواد يستشهد بالرسول الذي تقدسه الأم، وكلاهما يسعى إلى هدف مختلف. ومن هنا يتسع احتذاء الرسول

لاحتواء التباين الفكرى والاختلاف الذى يتيح البرهنة على أفكار وقيم متناقضة. فإذ تستبعد أمينة مقاومة الاحتلال لأننا لسنا كالرسول، نجد القارئ الذى يفتتح المؤتمر الوفدى احتفالاً بعيد الجهاد يقرا ما يتناسب مع الاحتفال الوطنى، ويوظف القرآن والرسول فى خدمة الأغراض السياسية: وتعب المشرفون على الحفل حتى نشروا السكون فى الأركان، كى يسمع الناس المقرئ وهو يتلو ما تيسر من القرآن مردداً فيما يتلو "يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال". وكأن الناس ينتظرون هذا النداء فتعالى الهتاف والتصفيق حتى احتج بعض المتزمتين وطالبوا بالصمت احتراماً لكتاب الله."السكرية - 43"

عند أمينة لا علاقة بين الاقتداء بالرسول ومقاومة الاحتلال، وعند فهمى والقارئ ما يفضى إلى العكس.

ولا يختلف الأمر بالنسبة للموقف من ثورة ونظام يوليو، ففى حياة الرسول ومرحلته التاريخية ما يتيح تبرير المعاناة فى عهد الناصرية وما يبيح إدانة الثورة والنظام والتنديد بهما.

إن المبررين يبحثون فى الفترات المشرقة عن المعاناة الكامنة، ومن هذه الفترات عصر النبوة بكل توهجه وبريقه: هل تصورنا عصر النبوة فى حياته اليومية والدعوة الجديدة تفرق بين الأب وابنه والأخ

وأخيه والزوج وزوجته، تـمزق العلاقات الحميمة وتحل العذاب مكـان التقاليد الراسخة؟. "الكرنك - 20"

ليست المعاناة إذن قاصرة على مصر الناصرية، ولكنها معاناة حتـمية ملازمة لكل فترة تاريخية كبرى بـما فى ذلـك مرحلـة النبـوة! ولكـن هـذا المنطـق ليس ملزمـاً، والإنجازات الناصرية عنـد آخريـن لا تكفى لتبرير أخطاء التجربـة ومسـاوئ النظـام، وفـى حيـاة الرسـول وعصره ما يبرهن علـى ذلـك. المحامى الإخوانـى محمـد حـامد برهـان، متأثراً بـما لاقاه من تعذيب فى السجون الناصرية، لا ينفعل بتأميم قناة السويس قائلاً: النبى عليه الصـلاة والسـلام أنشـأ دولـة إنسـانية ولـم يشيد هرماً. "الباقى - 54"

ويتحـول الأمـر بعـد هزيمة يونيـو مـن التـبرير والتفسـير إلى الهروب الجماعى للماضى بحثـاً عـن التوافـق المنشـود -والمفقـود- مـع الواقـع. إن جماعـة الشـيوخ مـن رواد قهـوة "الكرنـك" يبحثـون عـن السلوى فى ماضى ما قبل ثورة يوليو، وما لبثـوا أن رجعـوا إلى الـوراء أكثر وأكثر حتى استقروا فـى عهـد ابـن الخطـاب والرسـول فتنافسـوا فـى نبـش المـاضى يسـتخرجون أمجـاده يتسـلون بهـا عـن حاضرهم."الكرنك - 41"

ويجد الضائقون بواقعهم والهاربون منه، والحالمون بهجر الوطن والتخلي عنه، في هجرة الرسول ما يقويهم ويسليهم برغم اختلاف الدوافع.

يبدو الأمر أقرب إلى السخرية المرة عند منى زهران التى تعدل عن مشروع هجرتها بسبب ارتباطها العاطفي، ولكن هذا العدول لا ينفي رغبتها الكامنة في الهجرة، وهو ما يتبدىّ في حوارها مع مجموعة من الأصدقاء:

- الهجرة على أى حال سنة!

- ولو كانت إلى الولايات المتحدة؟

- ولو كانت إلى الجحيم! "الحب تحت ـ 64"

ويعبر ابن فطومة عن القضية نفسها بلا سخرية. ففى بداية رحلته التى لا نهاية لها، يقول مرافقوه من التجار:

-كان النبى عليه الصلاة والسلام تاجراً.

ولا يعترض ابن فطومة، ولكنه يضيف:

- وكان أيضاً رحالة ومهاجراً. "رحلة ـ 24"

منى وابن فطومة يتمثلان الرسول فى هجرته على المستوى

الشكلي، وكلاهما يبحث عن خلاص ذاتي يعكس أزمة موضوعية.

ويرتقي الأمر في "ثرثرة فوق النيل" إلى توظيف فني يتجاوز الذاتي والجزئي، بحيث يتحول "خروج" سكان العوامة وما ترتب عليه من كوارث إلى موازاة عكسية لـ"هجرة النبي" في يوم عطلة عيد "الهجرة" .

في الصباح يسأل أنيس زكي -عمدة العوامة - عم عبده - حارسها- عم يعلم عن العيد: فأجاب الرجل بأنه اليوم الذى هاجر فيه النبي من الكفار، ولعن الكفار. فقال أنيس: سوف يملأون هذا المجلس الذى تعده بعد قليل!. ويمضى في عبثه قائلاً: إنك يا عم عبده هارب في الإيمان. "ثرثرة - 176"

يهاجر الرسول "من" الكفار، ويهاجر عبده "في" الإيمان، وفي المساء يهاجر ثرثار و"العوامة" "إلى" الدنيا الواسعة المجهولة في غيبوبتهم الدائمة. وتتحول هجرتهم إلى كارثة لا تخلو من فوائد في تغيير المسار أو تهيئة بداية التغيير!

ولا يقتصر الاهتداء بالرسول وتمثله على الموضوعي / العام أو الذاتي الذى يعكس هماً موضوعياً، فهو يمتد أيضاً إلى الذاتي / الخاص.

يتعرض كمال عبد الجواد -الطفل- لمعايرة من أحد رفاقه الذى يدعوه بأبى "راسين"، وإذ يشكو فى البيت حزنه إلى أمه تتكدر لكدره وتعزيه مؤكدة أن كبر الرأس من كبر العقل، وأن النبى عليه السلام كان كبير الرأس، وأنه ليس وراء التشابه بين الرسول وبينه من مطمع لطامع. "بين - 48"

إن الرسول "كبير الرأس" -كما تزعم أمينة- أداة لبث السلوى فى قلب كمال عبد الجواد وتعزيته عن سخرية زملائه، والرسول الذى عاش الجوع وشظف العيش يطل عندما يحتاج الجوع إلى تبرير والمعاناة إلى تشجيع.

فى قصة "السيد س" يُضرب المثل بالرسول فى موعظة تبرر الفقر ولا تقاومه: سيدنا محمد عاش على التمر واللبن "التنظيم - 102"

وعاشور الدنف فى مرحلة فقره يقول للإمام:

- الله يخلق الرزق ولكنه ينسى أبنائى.

فيغضب الإمام ويصيح به:-

- لقد بات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بعض لياليه رابطاً

على بطنه حجراً ليسكن به جوعه. "حكايات ـ 98"

وتتحول حياة الرسول الخاصة إلى "نموذج" يتم الاستشهاد به لتشجيع الزواج بأساليب مختلفة.

لا يجد فؤاد الحمزاوى ما يشجع به كمال عبد الجواد على الزواج، بالرغم من تهافت العقيدة الدينية لكمال، إلا بضرب المثل بالرسول: أنت رجل أنانى، تأبى إلا أن تستأثر بكل حياتك لنفسك، يا أخى لقد تزوج النبى ولم يمنعه ذلك من ممارسة حياته الروحية العظيمة. "السكرية ـ 117"

وتدرك أم حميدة الخاطبة أن سنية عفيفى تمثل دور من يُساق إلى قبول الزواج بلا عمد ولا رغبة، فتخاطبها قائلة:

-كيف يعييك ما هو شرع وحق؟ أنت ست عاقلة شريفة، والكل يشهد لك بذلك. والزواج نصف الدين يا حبيبتى، وربنا شرعه حكمة، وأمر به النبى عليه الصلاة والسلام.

وترد سنية بإيمان كأنها توافق على الزواج اتباعاً للرسول:

– صلى الله عليه وسلم.

فتعاجلها أم حميدة كأنما تحسم الأمر وتغلق باب التردد:

– كيف لا يا حبيبتى؟ نبى عربى ويحب عبيده! "زقاق - 20"

أما ابن فطومة، فيتساءل ببراءة رداً على شكوى أستاذه الأرمل من متاعب الوحدة: ولم تبقى وحيداً؟.. ألم يتزوج النبى عليه الصلاة والسلام عقب وفاة السيدة خديجة؟ "رحلة - 15"

ولا يخلو الأمر من تماثل سافر يعبر عنه الماركسيان أحمد شوكت وسوسن حماد. يقول أحمد لكى يقنعها بالزواج:

– ألم تسمعى عن النبى الذى كان يجاهد ليل نهار دون أن يمنعه من أن يتزوج تسعا؟

وترد سوسن مشيرة إلى أخيه الإخوانى:

– ها هو أخوك قد أعارك فاه، أى نبى يا هذا؟ "السكرية - 314"

وإذا كان الرسول يحض على الزواج ويأمر به، فإن أحمد عبد الجواد يرغب فى النساء لا فى الزواج ولذلك فهو لا يجد به ما يرد على السؤال الاتهامى للشيخ متولى عبد الصمد:

– ماذا تقول وأنت المؤمن الورع، فى ولعك بالنساء؟!

إلا أن يضحك قائلاً:

– ما على من ذلك، ألا يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حبه للطيب والنساء؟ "بين ـ 41"

إذا كان أحمد وسوسن يسخران ويتهكمان، وأحمد عبد الجواد يتحايل ويخدع، فإن الجدية المفرطة نجدها في كلمات المرأة المسلمة العصرية –سامية– التي تعيش في دار الحلبة وتسمع من ابن فطومة عن واقع المرأة المسلمة في دار الإسلام، فتعقد المقارنات بينه وبين واقع المرأة في عهد الرسول، والدور الذى لعبته حتى قالت: الإسلام يذوى على أيديكم وأنتم تنظرون. "رحلة ـ 100"

ويتحول استدعاء الرسول والتمسك بسيرته، عندما يأتي في غير موضعه، إلى ما يشبه السخرية المعبرة عن طبيعة لشخصية وسلوكها، ونجد ذلك بوضوح عند حسن كامل الذى يعترض على رفض هدية فريد أفندى قائلاً: إياكم أن ترفضوا الهدية.. النبى قبل الهدية يا هو "بداية ـ 100"

وهو لا يجد بأساً من التفلسف بعد قبول الهدية فيقول بلهجة الواعظ: قبل النبى مرة هدية أهداها إليه يهودى. فهل يكون فريد أفندى شراً من اليهود؟! "نفسه ـ 114"

ويمتد تأثير الرسول من التمثل بعموم حياته ومواقفه إلى

الاستشهاد بسيرته وأحاديثه الشريفة.

كمال عبد الجواد الطفل يعرف الكثير عن سيرة الرسول ولا يعرف شيئاً عن حبيبه الحسين: ومع أن المكانة التي نزلها الحسين من نفسه -تبعاً لمنزلته من نفس أمه خاصة- كانت وليدة قرابته من النبى، إلا أن معرفته للنبى وسيرته لم تكن شفيعاً إلى معرفته بالحسين وسيرته. "بين - 48"

ويواظب كمال على الثقافة الدينية قبل تحوله إلى الشك، وهى ثقافة تبدو عالية قياساً بآل شداد الذين لا يعرفون عن دينهم شيئاً. فما أن يقول حسين لشقيقته عايدة عن كمال أنه يقرأ القرآن والسيرة! حتى تقول بلهجة ربما دلت على شيء من الإعجاب: حقاً؟! برافو. "قصر - 217"

ولا يخلو أحمد عبد الجواد من معرفة بتاريخ الرسول وسيرته، فعندما يقبض الإنجليز عليه عند اشتعال الثورة ليساعد فى ردم الحفرة التى حفرها فتوات الحسينية، يتذكر الرسول وغزوة الخندق ويعقد مقارنة بين كافرى الأمس واليوم: رباه إن التراب يملأ عينى وأنفى، يا سيدنا الحسين امتلئ... امتلئ أما كفاك هذا التراب كله؟! يا ابن بنت رسول الله، غزوة الخندق.. هكذا دعاها سيدنا الواعظ، كان

عليه الصلاة والسلام يعمل مع العاملين ويرفع التراب بيديه.. كافرون وكافرون.. لماذا ينتصر كافرو اليوم! فساد الزمن.. فساد الزمن.. فسادى أنا..! "بين - 43"

وتنتشر أحاديث الرسول وكلماته في عالم نجيب محفوظ وعند مختلف شخصياته بغض النظر عن مستواها الثقافي وعن مكانتها الاجتماعية.

أم أمينة شديدة التدين، وقد سما أبوها ومن بعده زوجها إلى مكانة رفيعة فوق ما كان لهما بحكم القرابة، وطالما غبطتهما على ما شرفا به من حيازة كلمات الله ورسوله في صدريهما. "نفسه - 199"

والشيخ على المنوفي أحد دعاة الإخوان المسلمين كان شديد الحماسة، وكانت طريقته أن يقرر حقيقة ما ثم تدور حولها المناقشة ما بين أسئلة من مريديه وأجوبة عليها منه، يقوم أكثرها على الاستشهاد بالقرآن والحديث. "السكرية - 100"

أما حسنين كامل فيستعين بكلمة شهيرة من كلمات الرسول في بداية دعوته ليجسد بها موقفاً عاطفياً ذاتياً، فإذ يطلب شقيقه منه أن يتخلى عن ملاحقة ابنة الجيران يرد عليه مبتسماً: والله يا أخى لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أتركها ما تركتها

أو أهلك دونها. "بداية - 65"

وتعاتب راضية شقيقتها شهيرة لتقصيرها فى خدمة أمها وتذكرها بوصية الرسول بالأم. "حديث - 43"

ويحتج شكرى الجمحى، الذى جذبته أفكار الجماعات الإسلامية، على حياة أبيه التى يراها فاسدة مسلحاً بحديث للرسول. فهو يرفض عرض أبيه أن يمضى كل فى حياته كما يرضاها، ويقول بتصميم: غير ممكن، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان. "صباح - 65"

ولعل محتشمى زايد الذى يختتم حياته طامحاً إلى التصوف هو اكثر شخصيات نجيب محفوظ استشهاداً بالأحاديث النبوية.

إن شعوره باقتراب الموت بعد حياة حافلة يتمثل فى استشهاده بحديث للرسول. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا عبد الله، كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وأعدد نفسك فى الموتى". صدق رسول الله. "يوم - 18"

وتختلط ذكرياته عن ثورة 1919 بمعاصرته لقرارات السادات

القاسية في سبتمبر 1981، فلا يسعفه إلا حديث للرسول: ليس الشديد بالصرعة. إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب. "نفسه - 65"

ويتعانق خوف الموت وآلامه مع الشعور بصحته الجيدة ومتاعب حفيده، فيذكر حديثاً للرسول: كفى بالصحة داء. صدق رسول الله. "نفسه - 75"

ولكن المبالغة في الاستشهاد بالأحاديث قد تثير السخرية عند الشخصيات التى تجمع بين الإيمان بالدين وحب الدنيا مثل أحمد عبد الجواد. فهو يدعو حفيده عبد المنعم إلى مقابلته عندما يتزوج من حفيدته نعيمة، وطلب إليه أن يتعهد بإتمام دراسته، فتكلم عبد المنعم كلاماً جميلاً مريحاً مستشهداً في أثناء ذلك بالقرآن والحديث، فترك في نفس جده آثاراً متباينة من الإعجاب والسخرية. "السكرية - ١٤٤"

❊ ❊ ❊

إذا كان عبد المنعم شوكت بحكم انتمائه إلى الإخوان المسلمين يمثل فهماً أيديولوجياً مثقفاً للإسلام ورسوله، فإن الغالبية

العظمى من الذين ينتمون إلى نمط من الفهم الشعبى الذى لا يخلو من الخرافة، وهو فهم يضفى على الرسول هالات من التقديس والتبجيل المعبرة عن حب بلا حدود بقدر ما هى معبرة عن جهل بلا ضفاف.

لا يوجد ما يدل على إسلام المترجم المستغرب عبد الرحمن شعبان إلا شهادة الميلاد ولا يعرف بعد ذلك من دينه إلا اسم محمد. "المرايا - 252"

وفى قصة "غداً تغرب الشمس" لم يدخل بطلها فى حياته جامعاً إلا فى مناسبة دعى فيها ضمن من دعوا ليكونوا فى استقبال رئيس الجمهورية. لم يؤد فريضة دينية قط، ولا يعرف عن دينه شيئاً يذكر، ولكنه يعتبر نفسه من المؤمنين بالله ورسوله. "الفجر - 147"

أما مطرية عمرو عزيز فكانت تعتقد أن حب الله ورسوله يعفيها من أداء الفرائض! "حديث 201"

ولكن هذا الجهل الطاغى يختلف عن إيمان البسطاء الذين يصوغون فهماً خاصاً للدين يحتل فيه الرسول مكان الصدارة، الفهم الذى يبدأ بالحلم وقوامه المعجزات والكرامات ومحصلته حب وإحساس عذب بـ "جمال" الرسول.

تحكي سنية المهدى لحفيدها رشاد عن تاريخ عائلتها، مروراً بجدها الذى فجر قنبلة فى بيئته العائلية الساكنة عندما أشهر إسلامه وتسمى باسم محمد المهدى.

وإذ يتساءل الحفيد

– كيف دخل جدنا الإسلام؟

تجيبه سنية ببساطة:

– أعلن أن النبى صلى الله عليه وسلم زاره فى المنام وعرض عليه الإسلام فقبله دون تردد، أما أهله فأكدوا أنه عشق فلاحة مسلمة! "الباقى - 165"

وتعتمد ثقافة أمينة على أساطير لا تنفصل فى اعتقادها عن حقيقة الدين وجوهره، بل لعلها رأت فيها دائماً حقيقة الدين وجوهره، وجلها معجزات وكرامات عن النبى والصحابة والأولياء. "بين - 62"

ومن الأحلام والأساطير يتشكل تصور شعبى بسيط للنبى، تعبر عنه أم أحمد فى قولها عن إحدى معارفها بأنها جميلة، وما جميل إلا سيدنا محمد. "صباح - 20"

إنه الجمال الذى يحوى كل الفضائل، الجمال الذى يتسع للدين والدنيا معاً، ولذلك يتحول مولد النبى إلى مهرجان شعبى علاقته بالدين أقل كثيراً من علاقته بالحياة.

إن مولد النبى يتحول إلى أداة تاريخ "دنيوية" وليس احتفالاً "دينياً" فى عالم نجيب محفوظ. فكمال عبد الجواد يؤرخ لمعرفة عايدة بيوم عطلة مدرستها الفرنسية الذى صادف عطلة رسمية لعلها مولد النبى. "قصر - 21"

وفؤاد صاوى فى قصة "اللقاء" يزور القاهرة لإتمام زواجه بالبنت التى أعجبته ليلة لمحها فى الاحتفال بالمولد النبوى بالقرية. "الشيطان - 304"

ويعود عامر وجدى بذاكرته إلى ليلة الاحتفال بمولد النبى حين رأى طلبه مرزوق الذى يدور به الزمن فيشارك عامر السكن فى بنسيون ميرامار: السرادق مكتظ بالخلق، وساحة المولد كيوم الحشر، والصواريخ تنطلق فى الفضاء، انشق النور وانعدم الظلام لمولد أحمد. وتهادت الرولز رويس حتى وقفت أمام السرادق. هبط منها طلبة مرزوق فخف لاستقباله أقوام واقوام من السادة الدمرداشية، طريقة الرجل الذى جمع فى قلبه بين الرسول والمندوب

السامي. "ميرامار - 34"

ويمثل عبد الرحمن شعبان "كالعادة" نشازاً في عالم نجيب محفوظ بسخريته المرة من كل ما هو مألوف ومقدس بما في ذلك مولد النبي. فهو يخاطب صديقه الراوي قائلاً: أتعرف ما هي أكبر نعمة أغدقت علينا؟ هي الاستعمار الأوروبي، وسوف تحتفل الأجيال القادمة بذكراه، كما تحتفلون بمولد النبي. "المرايا - 254"

ويتحول المولد النبوي إلى مناسبة "استثمارية" لاكتساب أصوات الناخبين! ففي قصة "في المدينة" يقيم المرشح للانتخابات سرادقاً شعبياً ليوزع حلاوة المولد على الكادحين لمناسبة حلول المولد النبوي قبيل الانتخابات. "الفجر - 230"

وإذا كان المرشح يستغل المولد النبوي لأغراض سياسية تتعلق بالانتخابات، فإن أحد تلاميذ عباس فوزي -العالم التراثي الكبير- يستغل معرفته بالتراث في تأليف كتب دينية عن النبي والقرآن الكريم فربح من ذلك أموالاً خيالية. ويعلق عباس على هذه الثروة سائلاً:

- أتعلم ما هي الثروة الحقيقية في بلاد العرب؟ ليست البترول ولكنها السيرة النبوية والقرآن.

ويعرض عليه المترجم عبد الرحمن شعبان أن يشتركا فى ترجمة بعض الكتب الغربية التى أنصفت الرسول، فرحب بالفكرة ونفذها بالرغم من إلحادهما الكامل، فدرت عليهما ربحاً يعتبر أول ربح ذى وزن ربحه فى حياته. "المرايا - 236"

المرشحون للانتخابات يستغلون مولد النبى، والمثقفون يستثمرون سيرته، ولم يبق للفقراء إلا أن يستثمروا محبة الناس له بالشحاذة والمديح.

واحد من هؤلاء الفقراء يقصد زيطة صانع العاهات ليحترف الشحاذة بعاهة مصنوعة. ويرفض زيطة لأن قاصده يملك جسداً قوياً لا يفلح معه تشويه الأعضاء، ويقدم له بديلاً: أعلمك فن العته مثلاً، وأحفظك بعضاً من مدائح الرسول. "زقاق - 60"

ويلعب أحد هؤلاء الشحاذين المادحين دوراً بالغ الأهمية فى رواية "الطريق".

إن صابر الرحيمى يكتشف بعد ارتكابه لجريمته، أن هذا الشحاذ الذى يردد المديح النبوى كل ساعة كان فى شبابه فتوة داعراً، ثم فقد كل شىء من قوة ومال وبصر فتسول. "الطريق - 139"

ولكن بداية الرواية لم تخبر بهذا المصير، مثلما لم تنبئ عن المصير الذى ينتظر صابر الرحيمى قبل أن يبدأ صابر، الباحث عن الحرية والكرامة والسلام، رحلته مع الجريمة المفضية إلى الضياع، هبط من قطار الإسكندرية إلى القاهرة وقضى ساعة وهو يبحث عن فندق رخيص في الميدان وما حوله حتى وجد نفسه فى شارع الفسقية ذى البواكى أمام فندق "القاهرة" ووقف على الطوار المسقوف المقابل للفندق على كثب من شحاذ مستلق لصق الجدار يتغنى بمديح نبوى.
"نفسه - 25"

هكذا يبدأ التجاور وتتشكل بواكير مشروع الموازاة بين الضائع القديم ذى التاريخ الماجن والمهيأ للضياع الذى يملك التاريخ نفسه. يندفع صابر إلى الفندق، وصوت الشحاذ يتردد عالياً فى نبرة أعجبته:

طه زينة مديحى
صاحب الوجه المليحى
النصارى واليهود
أسلموا على يديه "نفسه - 26"

وفى الليلة التى تبدأ فيها الجريمة، تفكيراً وتحريضاً من كريمة،

يستيقظ صابر ليرى الصباح الضبابى والسماء ذات الألوان القاتمة، ويترامى إليه صوت الشحاذ كأنه يساعد فى تهيئة المسرح لاستقبال الجريمة أو التنفير منها:

طه زينة مديحى

صاحب الوجه المليحى "نفسه - 83"

هل كان يحاول أن يسرده؟! لقد نفذت الجريمة بالفعل، وفى رحلة هروبه يصادف صابر الشحاذ ويراه لأول مرة بوضوح على ضوء المصباح، وشد ما أثار اشمئزازه لحد الغثيان.

وجه نحيل ضائع اللون فى لحية متلبدة بالقذارة، وعظام بارزة ووجنتان غائرتان وأنف مجدوع، ورأس مغطي بطاقية سوداء يحجب مقدمها حاجبيه، تدمع تحتها عينان دمويتان مشدودتان إلى أسفل، فمن أين جاءه الصوت اللطيف الذى يغنى بالمديح؟. كتم أنفاسه كى لا يشم رائحته وهو يمضى أمامه، وتقلص وجهه فى تقزز ونفور حتى أختفى عن ناظريه. "نفسه -110"

هل يرى صابر مستقبله لأول مرة؟! يتشابه الماضيان، وها هى الجريمة تضع صابر على بداية الطريق المفضى إلى النهاية. الصوت الجميل والوجه القبيح، ثنائية لا ينجو منها صابر نفسه!

لا يستطيع صابر أن ينسى مواجهة الشحاذ: التقاء العينين تحت المصباح السهارى لا يُنسى. والصوت الذى انبعث ما كنهه؟ وما يسيل من عين الشحاذ دم أم دمع؟ "نفسه"

ولا يختفي صوت الشحاذ المادح عن صابر وهو مع إلهام، فباطنه يردد وهما يتناولان الغداء: طه زينة مديحى-صاحب الوجه المليحى. "نفسه ـ 110"

ليس تأثير المادح بشخصه فحسب، ولكنه أيضا بمادة مديحه. إن صابر الرحيمى يعيش فى عصر ما قبل الدين. "نفسه ـ 116".

وعلاقته مع الشحاذ التى تبدأ منذ وصوله إلى القاهرة، تستمر إلى ما بعد ارتكابه الجريمة الأولى وتطل من جديد وهو فى طريقه لارتكاب الجريمة الثانية: لم يكد يخطو بضع خطوات حتى اصطدم بشبح فكاد يسقط على ظهره. وقد تأوه قائلا:

– آه..أنا رجل ضرير.

قال متعجلا:

– لا مؤاخذة. الظلام شديد تحت البراكى.

– ربنا ينور بصيرتك، دعوة مستجابة بإذن الله من سائل

مسكين.

أقشعر مـن التقـزز. هـو الشـحاذ دون غـيره. حتـى فـى هـذه الساعة من الفجر يسعى، وواصل سيره وصوت الرجل يلاحقه: حسنة للـه تنور طريقك. "160 ، 161"

لكن الدعـوة لا تسـتجاب! ينهـزم الشـحاذ برمـوزه وكلماتـه المنيرة أمام فيضان الشهوة المدمرة!.

* * *

فى قصة "رحلة" وفى مواجهـة المـوت، تظهـر مقولـة للتعزيـة: حتى سيدنا النبى مات. "خمارة ـ 201"

ولكـن الحقيقـة التـى لا تقـل عـن حقيقـة المـوت، أن تـاريخ البشرية لـم يعرف ميتاً يحظى بـمثل هذه الحياة التي يتـمتع بهـا النبى، تلك الحياة التى تجسدها كلمات تقال بعد زغرودة فى نهاية حفـل مـن حفلات الزار: ليشهدنا خاتـم الرسل الكرام. "حكايات ـ 9"

وتتجلى "حياة" الرسول فى أوضح صورها عند قاصدى الحج الذين تـمثل زيارة "قبر" النبى حدثـاً مهمـاً بالنسبة لهـم، بالإضافـة إلى

المشاعر الفياضة التى تعكسها كلماتهم عند التهيؤ للزيارة.

ينفعل السيد رضوان الحسينى بالحج كمناسبة روحية جديرة بإثارة المشاعر السامية، ومحققة لحلمه بالاقتراب من الرسول ومعايشة الأرض التى سار عليها يوماً: أمسى وأصبح فلا أرى إلا أرضاً تطامنت للمس أقدام الرسول، واستقبال الطريق الذى مهده الرسول بهجرته فتتبعته الأقدام من ثلاثمائة وألف عام ولا يزالون، وثلوج الفؤاد بزيارة القبر النبوى والصلاة فى الروضة الشريفة. "زقاق - 270"

وإذا كانت مشاعر رضوان الحسينى تجاه قبر النبى تمثل امتداداً لشخصيته المؤمنة، فإن فكاهة عبد الرحيم باشا عيسى وهو على عتبات الحج تعبر أيضا عن شخصيته. فهو ينوى "الحج" ولا ينوى "التوبة" وكأنه يعبر عن صعوبة توبته عندما يقول لمن حوله من الشباب:

– آه منكم يا أولاد الإيه، على مثلى إذا أراد التوبة حقا أن ينأى بنفسه عن العيون النجل والخدود الوردية، وأن يعكف على مجاورة قبر النبى علية الصلاة والسلام.

وإذا بالعكوف أداة لنكتة ذات إيحاء جنسى:

- الحجاز وما أدراك ما الحجاز، لقد حدثني عنه العارفون، ستكون كالمستجير من الرمضاء بالنار! "السكرية ـ 357".

إن الفارق بين خشوع رضوان الحسيني وأصحابه ومجون عبد الرحيم باشا عيسى ورفاقه، هو فارق بين عالمين وشخصيتين في التعامل مع حدث واحد!

وهذان العالمان يختلفان عن عالم الشربيني في قصة "رحلة"، فهو يتاجر بكل شئ ويبيع لبسطاء الناس تراباً في لفافات من ورق مدعياً أنه من تراب القبر النبوي وأنه يشفي من جميع الأمراض. "خمارة ـ 119"

القبر النبوي لا يتغير، ولكن البشر يختلفون. فهم زهاد وماجنون وتجار.

واختلاف هؤلاء البشر في تعاملهم مع القبر لا ينفي اعتقادهم في حقيقة واحدة، وهي أنهم يتعاملون مع مكان حياة وليس مستقر موت!.

❁ ❁ ❁

ينعكس الأمر كله على اللغة، ويتبدى هذا الانعكاس فى عـدة أشكال لغوية منها: الصلاة علـى النبـى، القسـم والاستحلاف بـالنبى، سيادة تكوينات يتخللها لفظ النبى للدلالة على ممارسات اجتـماعية.

تنتشر الصلاة على النبى فى عالـم نجيـب محفـوظ، وبالإضافـة إلى الاستخدام الشـائع الـذى يعـبر عـن المفهـوم الدينـى المباشـر لهــذه الصلاة، فإنها تستخدم أحياناً للتدليل على معنى مختلف. كاسـتخدامها كـمفتتح فى رواية السير الشعبية:

أول ما نبدى اليوم نصلى على النبى

نبى عربى صفوة ولد عدنان. "زقاق ـ 7"

وهى بـمثابة "طقــس" احتفـالى عنـد الفتـوات لتدشـين الفتـوة الجديد: صلاة النبى ترضى النبى. "الحرافيش ـ 141"

وتتحـول الصــلاة على النبــى إلى صيغــة تهدئــة فــى بعــض المناسبات.

أم حسين كرشة تهدئ زوجهـا السـاخط علـى ابنهمـا قائلـة: هدئ روعك يا معلـم وصلى على النبى. "زقاق ـ 207"

وعندمـا "يشـخر" "فرجـة الصيـاد" "الإسـكندرانى" فــى أول

عهده بالقاهرة، ويتحرج الموقف مهددا بمشكلة، يتقدم عطا المراكيبى لينقذ الرجل ويهدئ الساخطين: صلوا على النبى. "حديث ـ 176"

أما القسم بالرسول الذى يعكس محبته الطاغية فى قلوب الخالفين، فينتشر ـ وبخاصة فى الأوساط الشعبية – بصياغات مختلفة.

المعلم نونو يقسم بالحسين وجده. "خان ـ 42"

وفتحية قيسون تقسم قسماً مركباً بالنبى لتهدد وتتوعد: والنبى ومن نبى النبى نبى لأسود حظه وأطين عيشته. "حكايات ـ 83"

وجليلة العالمة تقسم بالنبى أن عائشة جميلة: قمر ورسول الله. "بين ـ 253"

وبالنبى أيضاً تقسم خديجة لتأكيد كسل زوج أختها: والنبى يا سى فهمى يمر اليوم كله وهو يدخن ويعزف. "نفسه ـ 432"

وتنفى حميدة وجود القمل فى شعرها مقسمة بالنبى: قمل؟ والنبى ما وجد المشط إلا قملتين اثنتين. "زقاق ـ 24"

يختلف الشخوص فى الثقافة والعمر والعمل والمكانة الاجتماعية، وتختلف المناسبات التى تستدعى القسم، وتبقى أداة القسم معبرة عن الاعتزاز بالنبى إلى الدرجة التى لا يفكرون فى

وإذا كان القسم بالنبى دليل صدق ومحبة، فإن الاستحلاف بالنبي والاستغاثة به لا تقل أهمية في التعبير عن الإحساس بمكانته ومقدرته على النجدة والإغاثة وتلطيف قلوب القساة الذين يبطشون ويظلمون!

ناظر المدرسة الذى يتعرض لعقاب الفتوة جعلص الدنانيرى، لأنه تجرأ على معاقبة أحد أتباعه، يتوسل إليه أن يعفو عنه ويستحلفه بالحسين وقبر الرسول. "حكايات - 113"

وفى مواجهة شيخ الفتوات، عاشور الناجى، يستغيث درويش صاحب خمارة البوظة عندما يطوقه عاشور بذراعيه: أنا فى عرض النبى. "الحرافيش - 47"

إن الاستغاثة بالرسول وسيلة دفاعية يلجأ إليها المأزومون فى اللحظات العصيبة التى يواجهون فيها عدواً شرساً لا يرحم، و لكنها وسيلة غير مضمونة النجاح.

ولعل أنيس زكى يدرك محدودية هذا الاستخدام عندما يحلق بالمخدر فى سماء يستدعى فيها الرشيد وجاريته ثم يحاول الهروب

فيلمحه الحارس العملاق: نحك فاتجه نحوك فجريت فجرى وراءك شاهراً سيفه فصرخت مستغيثاً بآل رسول الله فأقسم ليرمين بك فى سجن بينهم. "ثرثرة - 40"

إذا كانت مكانة الرسول لم تشفع لآله وتحميهم من العذاب والسجن، فكيف تنجح فى إنقاذ من هم دونهم؟!

ومن أشهر التكوينات اللغوية التى يتخللها النبى فى عالم نجيب محفوظ تعبير: زارنا النبى، وهو تكوين يستخدم لإظهار الترحيب الاجتماعى المبالغ فيه بالضيوف. ولعل مرد انتشار هذا التعبير أنه لا يختلف فى الفصحى عنه فى العامية، وفى نسيج الفصحى التى يلتزم بها نجيب محفوظ لا يبدو الاستخدام ناشزاً أو خارجاً عن المألوف. وهذا الاستخدام نجده –على سبيل المثال– فى: "بين ــ 218"، "زقاق - 16"، "حكاية - 136"

٭ ٭ ٭



إحسان عبد القدوس

يحتل النبى محمد بن عبد اللـه مكانة بالغة الأهمية فـى عالـم إحسان عبد القدوس، وهى مكانة ترتكز على محورين رئيسيين:

المحور الأول يعتـمد علـى الرسـول بشـكل مباشـر مـن خـلال التعامل معه كعنصر متـميز فى منظومة الأنبيـاء والرسـل، ومثـل أعلـى وقـدوة للمسـلمين، ونمـوذج إنسـانى فـذ يتجـاوز تأثيره المسـلمين إلى غيرهم، وصاحب مرتبة مقدسة تلى اللـه مباشرة من ناحيـة وتـرادف الإسلام من ناحية أخرى. وفى مقابل الاهتـمام المحدود بحياته الشخصية يبـدو الاهتـمام جارفاً بسـيرته وأحاديثه وسـننه التـى تشـكل عقيـدة المسلـم وتتغلغل للمساهـمة المؤثرة فى حياته اليومية ولغته العادية.

أما المحور الثانى فيتـمثل فـى جزئيـات مهمـة، وإن تكـن غـير مباشرة، كالقسم به والصلاة عليه وترديد الشهادة التـى تتضـمـن اسمـه فى مناسبات مختلفة ولأغراض متعددة.

ولعـل الموقـع الـثرى الـذى يحتلـه الرسـول يعـبر عـن اهتـمام

إحسان الواضح بالدين كمؤثر رئيس فى حياة الإنسان، ويعبر –من ناحية أخرى– عن الأهمية الخاصة للدين الإسلامى الذى يمثل فهم إحسان له وترجمته الفنية لقيمه ومثله ومبادئه اجتهاداً عصرياً واعياً لا يفصل بين الدين والحياة ولا يضعهما فى موقع التناقض، بل يضمهما قانون التكامل الإنسانى فى ظل الحياة الرحبة التى تتسع –أو ينبغى أن تتسع– للدين والدنيا معاً.

محمد بن عبد الله، النبى العربى العظيم، جزء من منظومة الأنبياء والرسل فى تاريخ البشرية، ولكنه يتميز عنهم بأنه آخرهم وخاتمهم.ولكى يكتمل إيمان المسلم لابد أن يؤمن بجميع السابقين لمحمد وأن يؤمن بأنه آخر الرسل ورسالته خاتمة الرسالات، ولكن الأمر يختلف بطبيعة الحال عند أصحاب الديانات الأخرى الذين يتوقف إيمانهم عند درجة معينة تتوافق مع المرحلة التى يمثلها نبيهم الخاص.

زواج المسلم من غير المسلمة، وهو موضوع أثير ومتكرر عند إحسان، ينتج عنه أبناء لا يستطيعون النجاة من الحيرة التى تمزقهم بين دين الأب ودين الأم؛ الأم التى لا تؤمن بمحمد ولا تتبع دينه.

وفى قصة "لا إله إلا اللـــه" أفضـل تجسـيد لهـذه المشـكلة مـن خلال شخصية إبراهيم الذى يقول لأبيه:

- إن الإسلام يهدينا إلى أن اللـه واحد والمسـيحية أيضـاً تهـدى إلى أن اللـه واحد. فلماذا لا أكون مسلماً مسيحياً...

وقال له أبوه فى إشفاق:

- إن شـهادة الإسـلام لا تعتـمد علـى أن اللـه واحـد ولكنهـا تنص على أن محمداً هو رسوله... وأشهد أن لا إله إلا اللـه وأن محمداً رسـول اللـه.. فإن لـم تؤمن بأن محمداً صلى اللـه عليه وسلـم هو وحده نبيك فأنت لست مسلماً.

وقال إبراهيم مجادلاً وكأنه يجادل نفسه:

- ولكن القرآن الكريم يؤكد أن عيسى هو أيضاً رسول اللـه.. ولو كان اللـه قد أرسل محمداً قبل موسى لكان الإنجيـل قـد نص أيضاً على أن محمداً هو رسـول اللـه.. كـل مـن تلقى الوحـى وحمـل الرسـالة ذكرهـم القـرآن -وكلهـم أنبيـاء- فلماذا لا نجتمع كلنا حولهم كلهم..

وقال الأب وهو يزداد إشفاقاً على ابنه:

- إن للـه حكـمة فـى التطـور بالبشـرية وهدايتهـم.. وبـين المسـلمين مـن كـانوا مسيحيين وبـين المسـيحيين مـن كـانوا يهوداً.. وكـانوا يتطـورون وفقـاً لإرادة اللـه. وكـان النبـى محمد هو آخر الأنبياء.. أى آخر مراحل التطور التى أرادهـا اللـه هداية للبشر..

وقال إبراهيم فى جزع:

- ولكن أمى لـم تتطور إلى الإسلام..

وقال الأب فى هدوء:

- اللـه لا يكلف نفساً إلا وسـعها ... ولـم تتسـع نفس أمـك للتطـور وعاشـت نفسـها هادئـة مرتاحـة مزدحمـة بإيمانهـا بالمسيحية ولكنهـا لا ترفـض حكـمة اللـه... فلـم ترفـض الإسلام كحكـمة أرادهـا اللـه وتزوجـت مسـلماً وأنجبـت مسلماً. "وتاهت - 49،50"

المنطقان متناقضان والتوفيـق بينهمـا صعـب، ذلـك أن الإيمـان بالإسلام يتضمن الإقرار بنبوة محمد كرسول خاتـم، والإيمـان بالأنبيـاء الآخرين السابقين له لا يعنى الجمع بـين الإسـلام وغـيره مـن الديانـات

لأن الإسلام هو آخر الديانات السماوية ونبيه هو آخر الأنبياء، أما الفروض التى يثيرها إبراهيم فلا محل لها، ذلك أن النبى محمد هو آخر الأنبياء... أى آخر مراحل التطور التى أرادها الله هداية للبشر" كما يقول الأب الذى لا يجد ما يدافع به عن زوجته المسيحية التى لم "تتطور" إلى الإسلام إلا أنها لم ترفض الدين الإسلامى كـ "حكمة"، وهو منطق متهافت لا يشبع فضول الابن ولا يعالج حيرته، ولعله لا يقنع الأب نفسه!

يمثل النبى قيمة عظيمة جدير بالاحتذاء والاقتداء، وتتعدد المواقف التى يُستدعى فيها النبى تعدد الدوافع التى تجعل شخوص إحسان يتمثلون بالرسول ويسعون إلى التدليل بسيرته وتاريخه للدفاع عن أفكارهم وسلوكياتهم التى لا يتحتم ارتباطها بالدين دائماً.

فى قصة "الحب فى رحاب الله" يتعامل الشيخ جاسم مع المسجد محتذياً بالرسول: إن الجامع -كما يقول- هو ما يجمع المسلمين بين يدى الله... اللاجئين إليه مستغيثين به... أى إنه ليس مجرد موقف كمواقف السيارات يقف فيه النَاس لأداء فروض الصلاة.. بل هو بيت المجتمع الإنسانى يجمع بين المسلمين ليتداولوا فى مشاكلهم الدنيوية... وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يقود

الناس ويحل المشاكل بين الأفراد داخل الجامع. "الحب ـ 31"

وفى قصة "أصابع بلا يد" تواجه نجوى مشكلة تنشئة ابنتيها فى المجتمع الكندى غير المسلم: ماذا تريد لكل بنت؟ هل تريد لها أن تكون مسلمة أم تتركها تنشأ بلا دين وبلا إله وبلا نبى؟..إنها قطعاً تريد أن تنشأ كل بنت وهى مسلمة مؤمنة بالله .. وبدأت تحدث البنتين بكل ما تحفظه من سيرة النبى محمد. "زوجات ـ 91"

إن سيرة النبى، التى لا بد أن نجوى تعلمتها فى طفولتها واحتفظت ذاكرتها ببعض من تفاصيلها، جزء جوهرى من التلقين المشكل للاعتقاد الدينى لابنتيها المهددتين بفقدان دينهما فى المجتمع الغربى الذى لا يدين بالإسلام.

ويصل طموح الباحث عن البطولة فى قصة "إنهم يصفقون لى" إلى تقمص كامل لشخص الرسول فى بدايات دعوته، فهو يشكل تنظيماً شيوعياً يضم إليه اثنين من زملائه أحدهما ابن خالته: وكنت أشفق على ابن خالتى من هذا العمل العظيم، وهذه المسئولية الكبيرة، فهو لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره... أكبر قليلاً من سن على بن أبى طالب عندما آمن بالإسلام. "بنت ـ 101"

المعنى غير المباشر هنا، ولكنه واضح تماماً أن مؤسس التنظيم

الشيوعى المحدود يشبه نفسه بالرسول، ويحول ابـن خالتـه إلى نـموذج عصرى للإمام على!

فـى القصـص الثـلاث السـابقة يبـدو تأثير الرسـول واضحـاً. فالمسجد ليس ساحة للعبادة فحسب، ولكنـه -كـما كـان الأمـر أيـام الرسول- المكـان الـذى تطـرح فيـه أيضـاً مشـاكل المسـلمين الدنيويـة للبحث عن علاج. وسيرة الرسول، كـما تعى نجوى بغريزتهـا وإيمانهـا المـوروث، ضـرورة لـزرع العقيـدة الإسـلامية والحفـاظ علـى الديـن.

والاهتـمام بشخصية الرسول على الرغم من ادعاء الشيوعية، يتطرف عنـد المريـض النفسـى بـمرض البطولـة إلى درجـة "التقمـص" الكامل غير المحسوب، الذى يكشف عن النرجسية المفرطة للباحث عن البطولة الوهمية بأى ثـمن وعبر أى طريق.

ويتخذ الاحتذاء بالرسول شكلاً آخـر عنـد فـايزة التـى تفقـد إيمانها بالناس وتعلـن تحديهـا لهـم وتـمسكها بفضائلهـا ومثلهـا العليـا، فالرسول هو النـموذج الذى تتبعه والمثل الذى تقتـدى بـه فـى مرحلـة تحولها الإيجابى:

لقد دافـع محمـد عـن مبـادئ الإسـلام بحد السـيف .. ونشـر المسيحيون فضائل دينهم بحد السيف .. وكل أصحـاب المبـادئ تحـدوا

الناس بـمبادئهم وحاربوا فى سبيلها. "الطريق - 124"

الصياغة واضحة لا تحتمل إساءة الفهم: "الدفاع" عن مبادئ الإسلام بحد السيف وليس "نشر" الإسلام بحد السيف.

وفايزة نفسها ترفض هدية الدكتور عوض قانعة بفرشاة الأسنان التى اشترتها، وعندما يلح الصيدلائى لاجئاً إلى النبى لـ "تبرير" هديته المريبة:

-يا ستى النبى قبل الهدية

تردد فايزة على الفور:

- أنا مش النبى.. "نفسه - 144"

إن فايزة ترفض التشبه بالنبى لأنها تعى الدوافع الحقيقية غير الأخلاقية للهدية، وعوض لا يتمسك بسيرة النبى وسننه ولا يسعى إلى تقليده والاهتداء به، ولكنه يستعين بالمصطلح الشعبى السائد فى محاولة مكشوفة لتجميل أغراضه التى لا علاقة لها بالدين والرسول!

إن الرسول ليس مثلا أعلى أو نموذجاً يحتذى عند المسلمين وحدهم، فهو قيمة إنسانية عالمية. ولذلك يظهر اسمه فى طليعة أسماء عظماء التاريخ الذين يذكرهم المهندس حلمى فى رواية "لا شيء

يهم"، العظماء الذين ضحوا واحتملوا العذاب للدفاع عن مبادئهم وأفكارهم بقوة خارقة: ... قوة عيسى ومحمد: قوة ماركس ولينين.. قوة غاندى .. قوة ديفاليرا.. قوة الأفغانى.. قوة محمد فريد.. "لا شيء - 177"

لا شبهة انتقاص من عظمة الرسول عند اجتماعه مع هذه الأسماء، بل أن عظمته تبدو أكثر بريقاً وتألقاً. الأسماء التى تبدو متناقضة متنافرة تنتمى دينياً إلى الإسلام والمسيحية والهندوسية واللا دين، وتنتمى جغرافياً إلى بقاع شتى من الجزيرة العربية إلى فلسطين وألمانيا وروسيا والهند وأيرلندا وأفغانستان ومصر، ولكن ما يجمع هذا الخليط هو قيمة "القوة"، وهى قوة لا تقتصر على دين معين أو بقعة مكانية بعينها. وإذا كان غير المسلمين قادرين على اكتشاف العظمة فى حياة محمد، فعلى المسلمين أن يدركوا التميز فى حيوات غيرهم!

من المنطقى أن يختلف تأثير الرسول على المسلمين، والمتدينين منهم خاصة، عن تأثيره على غير المسلمين والأقل تديناً من المسلمين، ويتخذ هذا التأثير أنماطاً متعددة عند إحسان عبد القدوس: الإطار السياسى والتاريخى، المزج الذى يصل أحياناً إلى درجة التوحد بين الله والنبى من ناحية والإسلام والنبى من ناحية أخرى.

هل صحيح أن قوة الإيمان بـالدين والنبـى عصمـت المسـلمين من الانقسام والتناحر؟! هذا ما يذهب إليـه الإخوانـى منصـور أحمديـن فى حواره مع منير غانـم: والمسلمون هم الأقل فـى خلافـاتهم والأقـل فى الحـروب التـى قـامت بـين بعضهـم البعـض.. وذلـك لقـوة الإيمـان بأصول الدين ومبادئه والإيمان بـآخر الرسـل والنبـى الواحـد.. "الحيـاة 72 -"

هل من المصلحة أن نربط بـين قـوة الإيمـان بـالدين والرسـول وقلة الخلافات والحروب بين المسلمين؟!

وهل تعبر مقولة منصور عن حقيقة تنتسب إلى التاريخ أم أنهـا تشير إلى حلـم ينتـمى إلى المستقبل؟!

إن القسام المسلمين وتناحرهم الذى وصـل كثـيراً إلى مرحلـة الحرب من حقائق التـاريخ ومعطيـات الواقـع، والإيمـان بـأصول الديـن ومبادئه وبآخر الرسل لـم يحل دون الانقسام لأن كل فريق يتصور أنـه يحتكر الفهم الصحيح للدين والإيمان الحقيقى به.

إن الرؤية السياسية الإخوانية تخلط بين التاريخ والدين وتخلـط الواقع بالمأمول لتنتـج مفهومـاً يبتعـد عـن الحقيقـة ويقـترب مـن الوهـم الجميل!

والغريب أن منير غانم -وهو ليس إخوانيا- يبدو متحمساً لإشهار الإخوان المسلمين كحزب سياسي بينما يتحفظ الإخواني منصور!. ودعوة منصور تنطلق من تأسيه بالرسول وفهمه لسيرته: وقد بدأ النبى محمد وهو صاحب دعوة إلى أن ألهمه الله فأصبح صاحب قوة تنفيذية تحقق تعاليم الدعوة.. أى أصبح بلغة العصر حزباً سياسياً. "نفسه - 107"

إذا كان الرسول نفسه قد جمع بين الدعوة والسعى التنفيذى، فما الذى يدفع الإخوان المسلمين إلى الاقتصار على الدعوة وممارسة العمل السياسى مع الإصرار على أنهم ليسوا سياسيين أو طلاب مناصب؟!

وثمة ظاهرة ملموسة فى عالم إحسان عبد القدوس، تكشف عن المكانة المقدسة السامية للرسول، ونعنى بها ذلك المزج الذى يجمع بين الله والنبى وبين الإسلام والنبى.

فى قصة "قبل الوصول إلى سن الانتحار" يتذكر الأستاذ شفيق أيام صباه: لقد كانوا يعيشون الإسلام.. وكان الله معهم فى كل لحظة، ومحمد الرسول فى خواطرهم كأنه يقيم معهم فى نفس البيت. "آسف - 52"

الاقتران قائم بشكل عفوى بين اللـه ومحمد، والعطف جلى وواضح: "اللـه"... و"محمد".

وفى قصة "سارقو الأحلام" نصاب محترف يتاجر بالدين، الشيخ محمود صاحب الهندى: الشيخ محمود يسرد فى صوت رفيع، ولهجة غريبة، ولغة لم أتبين منها سوى اسم "اللـه" و"محمد". "عقلى - 49"

مرة أخرى يتكرر العطف، ويختزل اللفظان كل ما يدعى النصاب معرفته باللغة العربية!

أما منير غانم فهو مسلم على الرغم من عدم التزامه الكامل بالفروض الدينية: ولكنه مسلم دائماً حتى أنه رغم ثقته الكاملة فى نفسه وهو يدخل امتحان المدرسة لا يستطيع أن يبدأ فى كتابة الإجابة على الأسئلة إلا بعد أن يقرأ الفاتحة داعياً اللـه ونبى المسلمين أن يوفرا له النجاح. "الحياة - 21"

"اللـه" و "نبى المسلمين" متعاقبان لا ينفصلان، والدعاء تعبير شعبى عن عمومية الإيمان الغريزى المختلط بالتماس البركة والتوفيق!

ويتكرر الأمر فى العلاقة بين الإسلام والنبى.

قبل أن تشهر اليهودية لوسى إسلامها يجلس معها الشيخ عبد اللطيف جلسات طويلة يحدثها عن الإسلام والنبى محمد وحفظت على يديه قراءة الفاتحة.. وسورة قل هو اللـه أحد... وكل تعاليم الإسلام. "لا تتركونى - 59"

الفصل مستحيل وغير منطقى بين الإسلام والرسول الذى تشكل سيرته وحياته مقدمة ضرورية لكل الساعين إلى دراسة الإسلام والإيمان به.

وفى قصة "شباك كلها ثقوب" يعيش يهودى آخر –حافظ حمدى– فى تايلاند كمصرى مسلم، ويكتسب شعبية هائلة وسط المسلمين التايلانديين الذين ينبهرون بالمصرى الذى يتكلم العربية.. لغة القرآن.. وهو عربى.. شعب النبى محمد. "آسف - 172"

إن الاحترام الذى يحظى به حافظ حمدى مرده إلى انتمائه لشعب النبى محمد ومقدرته على التكلم باللغة العربية، لغة الدين الإسلامى والنبى!

ويتمثل المزج بين محمد والدين الإسلامى بشكل متطرف فى رواية "ثقوب فى الثوب الأسود" عند طائفة "الماتيس" فى أفريقيا، ممن ولدوا لأب أبيض وأم سوداء، نجد الإيمان بالمسيح أو

محمد بإحساس وثنى .. ويؤمنون بالوثنية بإحساس مسيحى أو إسلامى. "ثقوب - 107"

الإيمان بالإسلام يتحول إلى إيمان بمحمد!.

أليس من المنطقى إذن أن يكون "اسم النبى" مقترناً بالمسلمين وعلامة من علاماتهم؟!

فى قصة "لا إله إلا الله" يحل البطل الحائر اسم إبراهيم. الأب مسلم والأم مسيحية، والاسم الذى اختاراه يرضى الديانتين لأنه لا يحسب لدين منهما دون الآخر: ولعلهما أسمياه إبراهيم حرصاً على أن يرضيا العائلتين .. عائلة أمه وعائلة أبيه.. فاسم إبراهيم يجمع بين المسيحية والإسلام، فلم يسمياه جرجس مثلا كما لم يسمياه محمداً أو أحمد. "وتاهت - 48"

"محمد" و "أحمد"، وكلاهما من أسماء الرسول، دليل على انتماء مؤكد إلى الإسلام، وليست صدفة بطبيعة الحال أن أسماء الرسول المتعددة هى أكثر الأسماء انتشاراً فى المجتمع المصرى، واختيار هذه الأسماء تعبير غير مباشر عن مكانة الإسلام ورسوله فى الواقع الذى يترجم الإيمان من خلال جزئيات يمتزج فيها الاجتماعى بالدينى.

ولعله مما يلفت النظر أن الحياة الخاصة للنبى لا تحظى باهتمام خاصة فى عالم إحسان عبد القدوس، وصفية بنت حيى هى الوحيدة من زوجات الرسول التى يرد ذكرها فى هذا العالم بمعرفة اليهودية المصرية لوسى التى أسلمت وحملت اسم زينب، ويحمل استدعاء صفية طابع "التشكيك" فى إسلامها وحقيقة دوافعها للزواج من الرسول!.

ترى لوسى أن تاريخ اليهود يضم قديسات تزوجن من أبطال حماية للشعب اليهودى.. صفية "اليهودية" تزوجت النبى محمد.. ودليلة تزوجت شمشون..."لا تتركونى - 60"

الإصرار على وصفه صفية بـ "اليهودية" يعنى الشك الواضح فى إسلامها، وهو الشك الذى يتحول إلى يقين بتقديس اليهود لها! وتعود لوسى لتفكر فى عبقرية نساء اليهود اللاتى استطعن بأنوثتهن "صيد" الملوك والحاكم ليضمنوا الأمان والرخاء للشعب اليهودى.. وكما تزوجت صفية "اليهودية" من النبى محمد لتنقذ قبيلتها بعد أن هزمت فى الحرب، رغم أن صفية لم تستطع أن تفرض الشخصية اليهودية، لذلك لم يضعها اليهود فى قائمة القديسات. "نفسه - 72"

إن استدعاء صفية بنت حيى بالغ الأهمية فى تشكيل شخصية لوسى اليهودية المسلمة، ذلك أن بين الشخصية الروائية والشخصية

التاريخية من الروابط ما يبرر الاستدعاء ويفسره: الانتقال من اليهودية إلى الإسلام والزواج من مسلم، والفارق الجوهرى الأساس أن لوسى ترغب فى إضفاء أهمية غير حقيقية تحمل طابع التضحية والفداء، على إسلامها الذى لم يتم إلا لأسباب ومصالح شخصية. ولتأكيد هذا الوهم تبرز شخصيتا دليلة وصفية كمثل أعلى للوسى التى لا تملك إلا الاعتراف بأن المقارنة غير منطقية وأن تقديس صفية بمعرفة اليهود غير صحيح وغير مبرر أيضاً!. ولعل تخبط لوسى فى منح القداسة وسلبها مبرر بارتباك الشخصية وحيرتها فى المرحلة الانتقالية التى تمر بها!

تحتل أحاديث الرسول موقعاً مهماً فى عالم إحسان عبد القدوس، ومن ا لمفيد هنا أن نتوقف عند رسالته إلى كتبها إلى الرئيس جمال عبد الناصر وصدر بها مجموعة "آسف لم أعد أستطيع"، فهو يشير فيها إلى دوره الدينى فى مجلة "روز اليوسف":

.... وكان آخر ما حاولته أنى حاولت تصفية الأحاديث النبوية، ودثر الأحاديث التى لا يمكن أن تنسب إلى نبينا كحديث "خير اللحم ما جاور العظم..." أو "الذبابة على أحد جناحيها دواء وعلى الآخر داء" و .. و... الخ وهى للأسف أحاديث معترف بها فى المجلة

التى تصدرها وزارة الأوقاف. فدعوت أحد علماء الأزهر، وكتب مقالاً عن الأحاديث النبوية، حذفته الرقابة. "آسف - 12"

الأحاديث الشاذة المنسوبة كذباً للرسول والمدسوسة عليه تثير غضب إحسان الصحفي وتدفعه إلى الاستعانة بعالم متخصص من الأزهر لدحضها، ولكن الرقابة تعترض!

وعى إحسان بعظمة الرسول هو دافعه لتصحيح وتصفية الأحاديث التى تشوه جلاله، وجهل الرقابة وغياب وعيها وهو مبرر رفضها للتصحيح الواجب!

وفى سياق هذا الاهتمام الموضوعي بأحاديث الرسول يمكننا أن نفهم الدور الفنى للأحاديث النبوية فى عالم إحسان عبد القدوس، وهو دور يتغلغل فى نسيج البناء كممارسة يومية لغوياً وفكرياً لأنماط مختلفة من البشر.

فى مقدمة روايته "شيء فى صدرى" يبدو تأثر إحسان جلياً بـ "لغة" الحديث النبوى فى هجومه على النظام الرأسمالى الذى لا يمكن أن يتساوى فيه الأفراد.. ولا يمكن أن يكونوا كأسنان المشط. "شيء - 6"

فالتشبيه الأخير مستمد من الحديث النبوى الشريف: الناس سواسية كأسنان المشط.

وتتعدد المؤثرات عبر أساليب متعددة تتجاوز الاستعانة بأجزاء من الحديث وروح لغته إلى عموم الحديث.

قد يكون الحديث المقصود مرسلاً غير محدد، و"المعنى" العام منه هو المستهدف كما نجد فى رواية "لا تطفئ الشمس" حيث يقول متولى معلقاً على زيارة نبيلة لمحمود فى قريته: صبركم يا رجالة.. النبى أوصاكم بالصبر.. واحنا لسه مش عارفين حاجة. "لا تطفئ ج2 - 175"

الحديث مرسل بلا تحديد واضح للوصية المقصودة بالصبر فى حديث معين للرسول.

وقد يستعين شخوص إحسان بأحاديث كاملة للرسول للتأكيد على وجهات نظرهم والتدليل على صدق مقولاتهم وآرائهم.

هذا ما يفعله الطالب الإخوانى فى رواية "لا شىء يهم" حيث يخطب محرضاً زملاءه مستشهداً بحديث كامل للرسول: ... وعلى الشباب المؤمن أن يعمل للقضاء على الحكومة وعلى الأحزاب، وإقامة

حكومة إسلامية تطبق قوانين الله.. ولو ضحى في سبيل ذلك بروحه.. فثواب الجنة للمؤمنين.. والحديث الشريف يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان. "لا شيء - 118"

وفى قصة "محاولة إنقاذ جرحى الثورة" يستعين الراوى الثورى فى حواره مع نعمت البلتاجونى بحديث للرسول: لا أريد أن أخدمك، أريد أن أدارى فضيحة... إن الفضائح الداخلية أخف من الفضائح المكشوفة.. وإذا بليتم فاستتروا.. "الهزيمة –83"

وإذا كان الطالب الإخوانى يستعين بحديث للرسول منتصراً للحض على مقاومة السلطة، والشورى المحسوب على ثورة يوليو يستعين بحديث آخر لمداواة فضيحة للنظام، فإن الأب فى رواية "لا أنام" يلجأ إلى الرسول منذراً بان طاقته على الصبر قد أوشكت على النفاذ: والنبى قال اتقوا غضب الحليم.. إنما الحليم لسة ما غضبش.. لسة.. لسة شوية كمان! "لا أنام - 279"

وفى الرواية نفسها يستشهد مصطفى بحديث للرسول حول الطلاق ليؤكد به فلسفته ويكشف عن حكمة الإسلام: الأديان اللى حرمت الطلاق كانت عارفة إنها مش ممكن تتصلح.. والنبى لما قال..

إن أبغض الحلال عند الله الطلاق.. كان عارف إنه بيعالج مر بمر. "نفسه - 364،365"

كل شخصية تختار من أحاديث الرسول ما يتوافق مع أفكارها وآرائها، وتجد في هذا الاختيار ما يعزز هذه الأفكار و الآراء.

.. ومن أحاديث الرسول إلى سننه.

اكثر هذه السنن انتشاراً ما يقترن بالزواج على "سنة الله ورسوله"، وهو المصطلح الذى يعنى استخدامه الحرص على الزواج الرسمى المعلن الشرعى كبديل للزواج العرفى السرى المشكوك – اجتماعياً ودينياً– فى جدواه وشرعيته.

الأم "الحقيقية" فى رواية "أنف ثلاث عيون" لا تعترف بورقة الزواج السرية التى تربط ابنتها بعبد الفتاح بك، وتصرخ: الراجل ده لازم يتجوزك على سنة الله ورسوله. "أنف، ج2 - 305"

وفى قصة "الثأر" تتزوج بائعة اليانصيب نعيمة من المعلم سيد: وصممت على أن يكون زواجها على سنة الله ورسوله، وعلى يد مأذون، لا زواجاً عرفياً شفوياً كما يجرى زواج زميلاتها. "بنت - 240"

وفي قصة "صائد الغزال" تنتهي معاكسة حسني بالزواج للخروج من المأزق الذي وضعته فيه المرأة التي يطاردها: اللي عايزني يتجوزني على سنة الله ورسوله. "لا: ليس - 154"

الزواج المدني أو العرفي السري لا يسمى زواجا عند الأم وبائعة اليانصيب وبنت البلد التي تتعرض للغزل، فالزواج "الحقيقي" لابد أن يكون على "سنة الله ورسوله" كمرادف للشرعية والعلنية.

وعندما يتم الزواج، تظهر "سنة" أخرى تقترن بالجنس الزوجي!

في قصة "اكتشاف عدو حب" يقول محمد عبد الله فهمي: إن علاقة الحب بعد الزواج قد تغيرت وأصبح للمعاشرة الزوجية مواعيد معينة كبرنامج ساعة لقلبك الذي تذيعه محطة الإذاعة. مساء كل يوم جمعة .. ومساء كل يوم اثنين طبقاً للسنة المحمدية. "شفتاه - 325"

وفي قصة "أرجوك خذني من هذا البرميل" تعقد المرأة الكويتية المتمردة على واقع النفط ندوة ثقافية أسبوعية تختار لها ليلة الثلاثاء: ... حتى أترك الرجال ليلة الجمعة لزوجاتهم حسب السنة. "وعاشت - 172"

الإشارة إلى "السنة المحمدية" و"السنة" فى القصتين مغلفة بروح الفكاهة ولا تخلو من ميل واضح إلى السخرية والتهكم!

وتظهر أنماط أخرى من "السنة" عند إحسان عبد القدوس.

ففى قصته "شباك كلها ثقوب" يحظى حافظ حمدى، اليهودى الذى يدعى الإسلام، بشعبية كبيرة بين مسلمى تايلاند.. لأنه مصرى ويتقن اللغة العربية، لغة القرآن: وكان يشاركهم الصلاة ويجلس إليهم كثيراً يفسر لهم القرآن ويشرح لهم السنة بلغتهم التى أصبح يجيدها. "آسف - 172"

وفى قصة "الحب فى رحاب الله" يتمثل تدين عديلة العميق فى حرصها على أداء جميع فروض الإسلام. وكانت تدمن أداء الصلاة.. تصلى الفروض وتصلى ما تعرفه من تعاليم السنة.. وأحياناً تستمر فى الصلاة إلى أبعد مما تحدده الفروض وتوحى به السنة. "الحب - 7"

وتنتقل رواية "فى بيتنا رجل" إلى سنن الصيام! فالأم تقول لمحيى عندما يبدأ إفطاره بمد يده إلى سلطانية المخلل:

– ما تفطرش على مخلل. خاف على معدتك يا ابنى.. ده حتى

حرام عليك.. السنة بتقول إننا نفطر على بلح!

ويرد محيي في سخرية:

– أصل أيامها ما كنش فيه مخلل!! "في بيتنا - 96"

الإجابة المتهكمة الساخرة لا تتوافق مع شخصية محيي المحافظة من ناحية ومع وجود الأب على مائدة الإفطار من ناحية أخرى!

❀ ❀ ❀

يتجسد تأثير الرسول على عالم ولغة إحسان عبد القدوس من خلال مجموعة من الانعكاسات غير المباشرة التي تتمثل في القسم بالنبي والصلاة عليه كما تتمثل في صيغة الشهادة: "أشهد أن لا إله إلا الله.. أن محمداً رسول الله" التي تستخدم في سياقات مختلفة ومناسبات متعددة متضمنة بالضرورة اسم الرسول.

في قصة "الله محبة" لا تشعر الفتاة المحبة، التي توشك أن تغير دينها من الإسلام إلى المسيحية، بحقيقة إسلامها إلا في الليلة التي تنوي فيها أن تتخلى عن الإسلام. ويتشكل شعورها بالدين عبر جزئيات متناثرة تمثل الممارسات الشعبية اليومية للدين في المحيط الاجتماعي:

ولـم تحس بالإسلام وبأنها مسلمة... قدر ما أحست هذه الليلة.. بـل خيـل إليها إن كـل حياتها وكـل ذكرياتها كـانت كلهـا للديـن...، ورمضـــان، والتفـــاف العائلـــة فـــى انتظـــار مدفـــع الإفطـــار .. والعيـد وفرحتـه... وصوت المقـرئ الـذى ينبعث من الراديو ويتلـو القرآن... وقسمها بالنبى فى كل مناسبة. أى نبى تقصد عندمـا تقسـم اليوم؟! "الوسادة ـ 117"

إن الولع بالقسم لا يخص هذه الفتاة وحدهـا، بـل هـو ظـاهرة منتشرة فى الحياة اليومية وفى عالـم إحسان عبد القدوس. ظاهرة تعـبر عن مدى تغلغل الدين فـى نسيج الممارسـات والسـلوكيات الإنسـانية بشكل غير مباشر.

والقســم بـالنبى لا يعنـى بـالضرورة وجـود "منــاخ" دينـى، فالمقسمون والمقسمات يلجأون إلى النبى فى كافة المناسـبات ولمختلـف الأغراض. ولا تجد "زوجة أحمد" ما تعبر بـه عـن ضيقهـا الشـديد مـن المجاملات الاجتـماعية على المائدة إلا فى استدعاء مجموعة من "الصيـغ الجاهزة" التى تستخدم وفـى مقدمتهـا القسـم بـالنبى: "والنبـى كــمان الحتة دى".. "واللـه لانت واكل كـمان".. "طيب عشان خاطرى دوق طاجن الفريك".. "زوجة ـ 122"

القسم بالنبى جزء من اللغة اليومية وتأثر غير مباشر بالدين من خلال رسوله ورمزه؛ الدين الذى يتغلغل فى النفوس ويؤثر على السلوك بغض النظر عن كافة الاعتبارات الأخرى.

والصيغة السائدة في القسم هي: "والنبى".. قد نجد بعض الصيغ الأخرى مثل: "وحياة النبى" فى: "شفتاه 95، 118" "وكر 177"، مثل: "وشرف النبى فى "البنات 214"، "منتهى 97"، فى بيتنا 195".

ولكن الصيغة الغالبة هى: "والنبى". ففى مقابل ست مرات تستخدم فيها صيغتا "وحياة النبى" و "شرف النبى" نجد أن صيغة "والنبى" تتكرر 212 مرة فى ستة وعشرين رواية ومجموعة قصصية لإحسان عبد القدوس.

ومما يلفت النظر أن القسم بالنبى يبدو صفة ملازمة للنساء ونادرة الاستخدام بالنسبة للرجال. الأطفال والصبيان يقسمون بالنبى أربع مرات فى عالم إحسان عبد القدوس، والرجال كأفراد ومجموعات يقسمون سبعة عشرة مرة، أما باقى الاستخدامات فتتم بمعرفة النساء.

وعلى الرغم من أن صيغة القسم تعبير عن قوة المؤثر الدينى فى الحياة المصرية، فإنها لا تقتصر على المتدينين والمتدينات وحدهم.

فالجميع- بغض النظر عن سلوكهم والتزامهم الديني- يقسمون بالنبى وفى شتى المناسبات حتى التى تبدو مخالفة لقواعد الدين وقيمه وأخلاقياته!

كما أن القسم يتجاوز المستوى الثقافى والموقع الاجتماعى والمرحلة السنية، ففى رواية "الطريق المسدود" -على سبيل المثال- نجد أن القسم بالنبى يتوزع -نسائياً- على النحو التالى:

سعدية "مدرسة": عشر مرات

فايزة "مدرسة": خمس مرات

فوقية "شقيقة فايزة ولا تعمل": أربع مرات

توحيدة "أم فايزة" ولا تعمل: مرتان

حسنية "مدرسة": مرة واحدة

أم أحمد "فلاحة": مرة واحدة

أم أحمد هى الأكثر تديناً والأقل قسماً متساوية مع حسنية المتهمة بالشذوذ الجنسى! وسعدية ليست متدينة ولكنها لا تتوقف عن القسم كلازمة لغوية جاهزة وملازمة لها. ومثالية فايزة وثقافتها العالية لا تتعارض مع تفوقها فى القسم على شقيقتها غير المتدينة وأمها المتحررة إلى درجة إثارة الشبهات والإشاعات!

والتفاوت الاجتماعي والثقافي الكبير بين تفيدة وخيرية في رواية "شيء في صدري".لا يحول دون اتفاقهما في القسم بالنبي: 19 مرة لتفيدة و 7 مرات لخيرية، وتفوق تفيدة مرده إلى أصولها الشعبية أكثر من ارتباطه بالتدين.

والوسط الأرستقراطي في رواية "لا تطفئ الشمس" لا يتناقض مع القسم بالنبي الذى تتفوق فيه نبيلة "خمس مرات" ثم أمها وشقيقتها ليلى "مرتان لكل".

لأن الإيمان بالدين والتأثر به لا يقتصر على طبقة بعينها ولا يعترف بمستوى ثقافي معين، فإن القسم بالنبي يتجاوز الطبقات والثقافات. وإذا كان ولع النساء بالقسم يبدو مسيطراً، فلعل ذلك مبرر بالضعف النسبي للنساء في مقابل قوة الرجال. القسم أداة تنفيس وبديل للفعل، وليست صدفة أن يكون الرجال الذين يقسمون بالنبي أقرب في مواضع القسم إلى ضعف النساء منهم إلى قوة وتماسك الرجال!

كيف يتصرف الناس "الشرفاء" في حياتهم اليومية؟! وبصياغة أخرى: كيف يتصور الأشرار الانتهازيون أمثال حسين شاكر هذه الحياة؟! إنه في لحظة من لحظات الانفراد بالنفس يسعى إلى "تقليدهم"

فإذا بـ "الصلاة على النبى" جزء أساسى من مكونات التقليد الذى يتصوره الباشا: وبلغ من جنونى أن وقفت أمام المرآة بعد أن أغلقت على نفسى الباب بالمفتاح وأخذت أحاول أن أقلد الناس الشرفاء كما أتصورهم.. إنهم يتسمون هكذا .. ثم أبتسم فى المرآة ابتسامة خجول متواضعة... وهم يتكلمون هكذا.. ثم أتكلم أمام المرآة فى صوت خفيض ضعيف، وأكرر فى حديثى ذكر الله "وصلى على النبى" وهم ينظرون هكذا عندما يكونون فى حضرة النساء.. ثم أخفض رأسى أمام المرآة، وأرخى جفونى فوق عينى ..و .. و... "شىء - 148"

"ابتسامة" الخجول و"الصوت الخفيض" و "الصلاة على النبى" والتعامل مع "المرأة"، أهم مفردات الحياة الشريفة المختلفة من منظور حسين باشا شاكر، وبذلك تكون الصلاة على النبى بمثابة اختصار لموقف كامل من الدين والدنيا معاً!

إن الصلاة على النبى مفردة يومية من طقوس حياة البسطاء من الناس، وليس عجيباً أن يتصرف حلمى كما يفعل عامة الناس وهم يستمعون إلى أحد دعاة الإخوان المسلمين: ووجد نفسه يتمتم مع بقية الناس "صدق الله العظيم" كلما ذكر الرجل فى حديثه آية

من آيات القرآن.. ويتمم "صلى الله عليه وسلم" كلما جاء ذكر النبى. "لا شيء - 120"

الصلاة على النبى تابع حتمى لذكر النبى. وقد لا يلتزم الجميع بهذه التبعية، ولكن البسطاء والعاديين من الناس أكثر التزاماً فى آلية موروثة تعبر عن الإيمان الدينى بقدر ما تعبر أيضاً عن الموروث الاجتماعى! الصلاة على النبى ليست مجرد طقس دينى، فهى أيضاً موروث اجتماعى يتم انتقاله من خلال التقاليد الشعبية فى مختلف المناسبات. وفى قصة "حنان بنت السلطان" تبدأ القصة داخل القصة بالاستهلال الشعبى: كان ياما كان، ما يحلى الكلام إلا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام. "بنت - 87"

فى سياق هذا الموروث يبدوا منطقياً أن تكتسب الصلاة على النبى مغزى يختلف عن المفهوم الدينى، فالدعوة إلى الصلاة على النبى تتحول إلى أداة لتهدئة الغضب وامتصاص السخط، كما نجد فى رواية "لا أنام" عندما ترد أم عطية على صراخ أحمد لطفى كأنها تلومه: يوه.. أنت مالك متغير كده يا سيدى أحمد بيه.. ما تصلى على النبى وتروق نفسك. "لا أنام - 276"

إذا كان الكلام لا يحلو إلا بذكر النبى، فإن الصلاة على النبى

-بالتبعية- وسيلة لـ "تحلية الكلام" وتهدئة النفس و "ترويض الغضب" والجموح!

تتواجد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله عبر ثلاث مستويات عند إحسان عبد القدوس: المستوى الأول كأداة للإشهار الشكلي للإسلام، والمستوى الثاني يرتبط بالموت، أما المستوى الثالث فيقترن بطقس اجتماعي عاطفي.

في قصة "الله محبة" يقف اختلاف الدين بين الفتاة المسلمة والفتى المسيحي عقبة دون وصول قطار الحب إلى محطة الزواج، ولا تجد الفتاة المسلمة مخرجاً إلا في إسلام حبيبها المسيحي: إنها مجرد شكليات... أن يذهب إلى المحكمة الشرعية ويقول أمام القاضي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله" ثم يصحبها بعد ذلك إلى المأذون! "الوسادة - 114"

هل صحيح أن الأمر مجرد شكليات؟! إن الاندفاع في طريق الحب هو الذي يبسط الأمور، وهي قد تكون بسيطة شكلياً ولكنها ليست كذلك موضوعياً.

اليهودية لوسي أسلمت لتتزوج، ولم يكن إسلامها إلا إجراء شكلياً بلا إيمان حقيقي: وجلست تردد مع الشيخ عبد اللطيف، أشهد

أن لا إله إلا اللـه وأن محمداً رسول اللـه .. أصبحت مسلمة.. وأصبح اسمها زينب. "لا تتركوني - 60"

ولكن إشهار الإسلام شكلياً بترديد الشهادتين لـم يتغلغل فـي نفسية لوسى/زينب التى عاشت مصابة بداء الازدواجية التـى لـم تنته بـمجرد الإشهار الشكلى للإسلام.

ذلـك أن الشـهادة، كـما يقـول الأب المسلـم الـذى تـزوج مسيحية وانجـب ابنـاً حـائراً بـين الدينـين فـى قصـة "لا إلـه إلا اللـه"، لا تقتصـر علـى أن اللـه واحـد، ولكنهـا تنـص علـى أن محمـداً هـو رسوله، واشهد أن لا إله اللـه وأن محمدا رسوله اللـه، فـإن لـم تؤمن بـأن محمـداً صلـى اللـه عليـه وسلـم هـو وحـده نبيـك فـأنت لسـت مسلماً. "وتاهت - 49"

الشهادة ليست مسالة شكلية ولا يمكن أن تكـون. الاعـتراف بالإله الواحد موضع اتفاق، ولكن الاعتراف بنبـوة محمـد ينفـى ضمنـاً الأديان السابقة، وعنوان القصـة "لا إلـه إلا اللـه" قـد يصلـح لليهـود والمسيحيين والمسلمين، ولكن الشهادة الكاملة لا تناسب إلا المسـلمين وحدهم؛ شهادة الإقرار بنبوة محمد كركن لاكتـمال المفهوم الإسـلامى الصحيح.

يتحقق المستوى الثانى للشهادتين عند الموت، فعندما يشرف الجندى المصرى فى "الرصاصة لا تزال فى جيبى" علـى المـوت، يكـون آخر ما يشغله هو نطق الشهادتين والاستمرار فى ترديدهما: وقررت أن أرقد بلا حركة، ولكنى قاومت أن أغمض عينى، فقد كنت واثقاً أنها ستكون الإغماضة الأخيرة: بعدها لن أفتح عينى أبدا... وأخذت أكرر الشهادتين... أشهد أن لا إله إلا اللـه وأن محمداً رسول اللـه.. لعل الشهادتين تعينانى على أن تظل عيناى مفتوحتين فإذا غلبتنى عيناى مت فى رعاية الشهادتين. "الرصاصة - 21"

الموت فى رعاية الشهادتين؛ الموت تحت راية الإسلام: ونطق الشهادتين هو آخر ما تفعله أم عزيزة بعد مجموعة الاعترافات التى تصفى بها حسابها من الدنيا:.. أشهد أن لا إله إلا اللـه وأن محمداً رسول اللـه.. وماتت أم عزيزة."وتاهت - 11"

الجندى فى الصحراء والمرأة على الفراش يتفقان فى الحرص على الموت فى إطار إسلامى، وهو ما لا يتحقق إلا بترديد الشهادتين لتأكيد الهوية الإسلامية.

يقترن المستوى الثالث للشهادتين بطقس إجتماعى عاطفى نجد صورته المثلى كاملة فى رواية "فى بيتنا رجل" فى موقف الوداع

بين نوال وإبراهيم حمدى: ونزعت نوال ورقة بيضاء من إحدى كراسات أخيها، ثم وضعتها أمام إبراهيم والقلم في يده، وقالت وقد اتسعت ابتسامتها كأنها ترشوه بها:

-أكتب هنا "لا إله إلا الله"!!

وازدادت دهشة إبراهيم وقال وقد ارتفع حاجباه:

– ليه؟!

قالت وهى لا تزال تبتسم:

– أكتب وبس علشان خاطرى!

وانحنى إبراهيم وكتب "لا إله إلا الله". وأخذت.نوال الورقة، ثم أخذت القلم من يده، وانحنت تكمل السطر وكتبت" محمد رسول الله".

ودون أن تتكلم ألقت القلم فوق المكتب ثم أمسكت الورقة وقطعتها إلى ورقتين: ورقة تحمل"لاإله إلا الله" التى كتبها بخط يده، وورقة تحمل "محمد رسول الله" التى كتبتها بخط يدها .. ثم أعطته الورقة التى تحمل خط يدها وشهادة أن "محمداً رسول الله".

وقالت وهى تبتسم:

– خللى دى معاك دايماً .. اوعى تضيعها!!

واحتفظت لنفسها بالورقة الأخرى التى تحمل شهادة "لا إله إلا الله" واستطردت قائلة فى خفر وهى تطوى الورقة بأصابعها فى حرص، دون أن تنظر إليه:

– أصل بابا كل ما يسافر، بيكتب هو وماما ورقة زى دى .. علشان يرجعوا لبعض تانى! "فى بيتنا - 225، 226"

هذا الطقس الإنسانى الدافئ الذى يمزج الدين بالاجتماعى والروحى بالعاطفى ليس من ابتكار نوال، هو موروث منقول عن الأب والأم الذين تلقياه بدورهما عن السابقين لهما. كتابة الشهادتين، كبديل للنطق بهما، تعويزة تنفى الغياب وتؤكد الحضور وترفع رايات التلاقى من جديد.



الفصل الثالث



عبد الرحمن الشرقاوى

الرسول هو القدوة والمثل الأعلى والنموذج المحتذى به عند عديد من شخوص عبد الرحمن الشرقاوى، فمن المنطقى أن تكون سيرة الرسول وأحاديثه موضعاً للاهتمام وأداة للتدليل والبرهنة والدفاع والهجوم فيما يتعلق بوقائع الحياة اليومية وصراعاتها ومشاحناتها السياسية والنفعية.

ويتجلى التأثير الكبير للرسول فى عالم عبد الرحمن الشرقاوى من خلال اللغة عبر عدة مستويات: انخراط النبى فى بعض الأمثال الشعبية والتكوينات اللغوية، الصلاة عليه بما يتجاوز المفهوم الدينى إلى رحابة التوظيف الاجتماعى، القسم والاسترحام به.

إذا كان الشيخ طلبة فى (الفلاح) ومن قبله الشيخ الشناوى فى (الأرض) بمثابة النموذج التقليدى المحافظ لرجل الدين الرجعى الجاهل، فإن عبد المقصود وريان فى (الفلاح)، ومن قبلهما الشيخ حسونة فى (الأرض) هما النموذج الضد. فهمان للرسول مختلفان،

وكلا الفهمين يعكس رؤية مغايرة على الرغم من أن الرسول نفسه هو المرجع والمصدر!

يقول الشيخ طلبة لعبد المقصود فى حدة وغضب: أنت النهاردة فى صلاة الجمعة..قلت فى حديث شريف عن السيدة عائشة رضى الله عنها كلام غريب قوى.. جبته منين؟.. يأخويا أنتم ها تعلمونا إسلام جديد؟.. إيه قوله إن سيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام زعل من سيدنا عثمان رضى الله عنه لما شتم إللى اسمه عمار بن ياسر والا ياسر بن عمار ده..وحكم على سيدنا عثمان أنه يعتذر له ويشتغل زيه سوا..دا سيدنا عثمان كان صهره، وكان من سادة قريش ومن أغنياء الصحابة، يقوم سيدنا النبى يعمل فيه كده ويشغله زى الفقراء سوا..

ويرد عبد المقصود مؤكداً مقولاته ومصراً على عدم التراجع عنها: أيوه لما كانوا بيبنوا مسجد المدينة وعثمان بن عفان رفض يعمل، وشتم بعض فقراء الصحابة لأنهم طالبوه بالعمل.. النبى كان فى وسطهم يعمل.. غضب عليه الصلاة والسلام لما أهان فقراء الصحابة، فقرعه وخلاه يعتذر لهم.."الفلاح - 96،97 ".

ليس ما يقوله عبد المقصود "كلاما غريبا" أو إسلاما جديداً،

فالنبى نفسه كان يعمل ويحض على العمل ويرفض التمييز الطبقى بين أصحابة الأغنياء والفقراء. الشيخ طلبة هو المنحاز طبقياً "واقعياً وتاريخياً" لأنه يأبى إلا أن يقول عن عثمان بن عفان "سيدنا" ورضى الله عنه. بينما لا يعبأ كثيرا بـ "اللي اسمه" عمار بن ياسر أو ياسر ابن عمار "ده".

الأمر يتجاوز واقعة بعينها، فالبطولة لنمط تفكير الشيخ الذى ينعكس على ما يسمعه ويحاكمه بقوانينه الذاتية دون اهتمام بأحكام الدين وتوجيهات الرسول. هذا ما يتجلى بوضوح فى موقف آخر له من عبد المقصود أيضا: هو يفهم القرآن بطريقة غريبة.. كلامك الآن لا يعجبه..فيا طالما قال لك إن الناس أسياد أنفسهم وأن النبى عليه الصلاة والسلام كان لا يحب أن يقول له أحد سيدنا؟.. من أين جئت بهذا الكلام ياسى عبد المقصود؟!..بلد كفرة.. حتىالذين قرأوا القرأن فيها كفرة!! "نفسه - 43"

الكلام المطعون فيه جاء به عبد المقصود من الرسول نفسه، واتهام الكفر الذى يسلطه الشيخ الطبقى يمثل مأزقاً له لأنه لا يعى أنه يكذب الرسول ويكفر مرددى كلماته!

ما أكثر الذين ينتسبون إلى الإسلام ويتمسحون بالنبى

للدفاع عن مصالحهم ونفوذهم وأطماعهم دون اهتمام جدى بالإسلام ورسوله. "الرجل القادم من المدينة" لقهر الفلاحين وتكريس استغلالهم والدفاع عن السادة المستغلين الظالمين، يلجأ إلى الدين ويتكىء على الرسول ليمنع الأستاذ ريان من إلقاء خطبة الجمعة: ثم إنك غير متزوج وده حرام! "نفسه - 232"

ويستلهم ريان سيرة الرسول ليرد ويفضح ويكشف خبايا الموقف الذى لا علاقة له بالغيرةعلى الدين: اسمع يا سيد ياللى جاى من مصر. احذر أن تتعرض لما تجهل..أولا من قال لك إن غير المتزوج لا تصلح إمامته.. ثانياً يا أخى من قال لك إن صغر السن يمنع من الإمامة؟ أنا سنى حوالى ثلاثين سنة والرسول علية الصلاة والسلام أمر على الجيش وعلى كبار الصحابة رجلا دون العشرين وعلى هذا سار أبو بكر. ثم ايش عرفك أنت بالإسلام وبحضارة الإسلام؟ "نفسه - 235"

إذا كان الدين هو الحكم والفيصل والرسول هو المرجع والقدوة، فإن ما يقوله الوافد من المدينة ينم عن جهل فاضح بالدين وتعاليم الرسول. ذلك أن المسألة فى جوهرها صراع على أرض الواقع، وليس اجتهاداً يتعلق بالمفاهيم الصحيحة للدين.

سيرة الرسول وسننه دليل وهداية المسلمين. ليس من المصلحة الدينية ينطلق الرجعيون والانتهازيون والمستغلون، ولكنها مصالح الحياة الدنيا.

المسلمون الحقيقيون والعاديون هم الذين يعرفون هذا القانون الايجابى ويمارسونه. الرسول نموذجهم، وسيرته نبراسهم، وكلماته تسعفهم للدفاع عن الفطرة والممارسة السوية.

اعتراض شكرى بك على استماع بناته للأغانى العاطفية "الخليعة" التى يبثها الراديو، يقابله اعتراض وعتاب من سعاد هانم: وفيها إيه لما الولاد يسمعوا غنا؟ ده النبى عليه الصلاة والسلام سمع الغنا يا شكرى بيه. "الشوارع - 256"

وتعترض أنيسه أيضا على رغبة شكرى فى الامتناع عن العمل فى مطبعة زوجها المعتقل: وكمان يعنى ستنا خديجة مرات سيدنا النبى كانت بتتاجر.."نفسه - 417"

امرأتان تعارضان رجلا قويا ذا مكانة راسخة وشخصية قيادية مؤثرة: لا يملك شكرى أن يحرم الغناء الذى كان الرسول نفسه يستمع إليه بما يفضى إلى إنه حلال ومباح، ولا يملك أن يحرم عمل المرأة الذى مارسته السيدة خديجة بنت خويلد دون أن يعترض الرسول

الزوج بما يفيد جوازه وشرعيته.

وفى هذا السياق تبدو أحاديث الرسول كنزاً عامراً لشخوص الشرقاوى فى محاولاتهم الدائبة للدفاع عن آرائهم وممارساتهم المختلفة.

بائع الكتب القديمة "الشيخ" حمزة دبوس ينهمك فى"البحث" عن حديث نبوى يؤكد مكانة الشاعر الصحابى حسان بن ثابت: يا سلام عليك يا سيدنا حسان..ما فيش أشعر منك لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام..والله كده.. ياسيدنا حسان يا ابن ثابت..صدق رسول الله حين قال فيك..

وحك شعرات ذقنه وهو يحاول أن يتذكر .. ثم أكمل وهو ينظر أمامه إلى وجه "سعد" الذى وقف مستنداً إلى باب الدكان وعيناه على باب المدرسة: أيوه صدق رسول الله حين قال .. قال إيه يا سيدى؟.. أو كما قال.. اسمع يا سى سعد .. تشترى ديوان سيدنا حسان تنال به ثواب الدنيا والآخرة، ويقوى أسلوبك فى العربى.. "نفسه ـ 126"

الحديث الذى يبحث عنه الشيخ االتاجر ولا يجده مجرد وسيلة لترويج بضاعته، وهو ما يتجلى بوضوح فى التعامل مع ديوان حسان

كوسيلة للثواب وأداة لتقوية اللغة بعد أن يئس من "العثور" على الحديث المنشود للرسول وخذلته الذكراة!..

أما الشيخ الشناوى فلا يكلف نفسه عناء البحث وإجهاد الذاكرة، فهو "يخترع" الأحاديث إذا لم يجدها: فقد كان يصنع أى شيء فى القرية، ويروى له حديثاً أو قصة لتبرر ما صنع. "الأرض - 12"

وعلى الرغم من غياب الشيخ خليفة عن مسرح الأحداث فى "الشوارع الخلفية"، فإن شخصيته المتأثرة بالدين وأحاديث الرسول تتحقق من خلال الآخرين.

يبدى شكرى إعجابه بأولاد الشيخ خليفة: أدبهم ورباهم على احترام الجيران ورعاية حرمة الجيرة، وعلمهم وصية النبى بسابع جارا.. "الشوارع - 50"

علم الشيخ أولاده أن يحترموا جيرانهم مقتدياً بأحاديث لا يذكرها شكرى، وعلمهم أيضاً أن يحسنوا معاملة الفقراء والكادحين كما يذكر ابنه شوقى: وظل يروى لهم أحاديث عن النبى ووصايا الإمام على بن أبى طالب وسيرته مع الذين لم يوسع عليهم فى الرزق.. "نفسه - 161"

يستعين الشيخ خليفة بأحاديث الرسول في تربية أولاده وتوجيههم، ولكن غيابه عن الرواية هو ما يؤدى إلى غياب النص الكامل لهذه الأحاديث اكتفاءاً بما جاء من افكار تربوية عامة.

"مضمون" الحديث هو الذى يسيطر وليس "نص" الحديث، وشوقي نفسه يشير إلى حديث آخر للرسول وهو يكابد أزمة عاطفية جنسية: وخلال هذه الأعوام إما أن تأتي ما يدخلك النار وبئس المصير وإما أن تصوم لتكسر حدة شبابك كما يقول الشيخ على مدرس العربي! "نفسه - 195"

الحديث للرسول، والشيخ على ناقل، وشوقي غارق في أزمته ومنشغل بـ "معنى"الحديث دون توقف عند صاحبه الأصلي!

والشيخ على بدوره يستعين بجزء من حديث للرسول في تعليقه الغاضب على ما يقوله ناظر المدرسة: آه.. داروا سفهاءكم... ساعتي الحقيرة؟!.. لكن الحقارة عند غيرى ليس في ساعاتهم.. وإنما في نفوسهم!. على كل حال.. داروا سفهاءكم!. "نفسه - 299"

ويلجأ الشيخ طلبة إلى حديث للرسول مغيراً في ألفاظه وهو يحلم بزواج ابنته نفيدة من عبد العظيم أفندى: اتجهي إلى الأفندى أولاً.. فوالله ما يجدر بك غير عبد المقصود.. اختاروا لبناتكم فإن

العرق دساس.. "الفلاح - 44"

لم يتغير كثيراً معنى ومضمون الحديث، ولكن المفردات والألفاظ وحدها تغيرت.

مرة واحدة يظهر ادعاء الحرص على "نص" الحديث لأن ما طرأ عليه من تغيير قد أفسد المعنى وحول المجرى من منظور الغيور القائم بعملية التصحيح.

هذا ما نجده عندما يستعين الأعرابى علوانى بسير الأنبياء كما جاء فى حديث نبوى للدفاع عن مهنته: يا ناس ما فيش نبى إلا رعى الغنم.

ويعلق الشيخ يوسف غاضباً: أنت هاتلخبط فى الحديث الشريف كمان.. الحديث بيقول ما من نبى إلا ورعى الغنم! لكن الكلام ده مش فى البلد دى! أنت ها تحط راسك براس الأنبيا؟! "الأرض - 364"

لم يرتكب علوانى جرماً، ولم يبدل شيئاً جوهرياً يخل بالمعنى. الاعتراض على شخص علوانى وليس على "ترجمته" العامية الأمينة للحديث. ما قاله علوانى لا يختلف عن "تصحيح" الشيخ، وسر

الغضب كامن فى "فكرة" المقارنة وليس فى حرية التصرف!

❊ ❊ ❊

حب النبى هو الدافع الوحيد لهذا التمسك بسيرته والتشبث بأحاديثه والحرص على احتذائه والاقتداء به، ولكن الخلل يتحقق عندما يلجأ إليه أصحاب الأغراض والمصالح لتبرير سلوكهم وتجميل أفعالهم والدفاع عن أهدافهم الحقيقية دون اهتمام بالدين والرسول.

الشيخ الشناوى مثلاً يتحمس لعريضة محمود بك و"يستغل" الرسول والتعلق به لدفع الفلاحين المحبين إلى ما يضيرهم ويهدد مصالحهم ويغير مصائرهم: اللى يحب الله ورسوله يروح بختمه عا الدوار.. ياللا يا كفرة.. يا بلد زنادقة! "نفسه - 121"

ومن الذى لا يحب الله ورسوله؟! .. المغالطة فى المزج بين الحب والعريضة التى لا يعرف أحد شيئاً عنها. أدى التوقيع "على بياض" إلى كارثة، ويؤكد أحد الفلاحين أنه لم يوقع بختمه إلا لأن الشيخ الشناوى طلب منه الختم على حب النبى. "نفسه - 162"

هل يمكن أن يكون حب النبى مفضياً إلى الهلاك والأذى؟!. لا

مسئولية على النبى، ولكنه الشيخ الذى استثمر حب الناس للنبى.

والشيخ نفسه يحول "مولد النبى" إلى تجارة لا علاقة لها بالدين وحب الرسول الذى يصل إلى ذروته فى الاحتفالات الشعبية بذكرى مولده.

يرصد عبد الهادى ما فى سلوك الشيخ الشناوى من تناقض مفزع إذ يدين خضرة ويدافع عن زنوبة التى سمت نفسها إحسان هانم وهما تمارسان سلوكاً متشابهاً مع اختلاف الدافع والعائد: أقبلت بعد أن أصبحت سمينة تضع الأحمر على الشفة والذهب على الذراع، وتضع لوناً جديداً على وجهها .. جاءت إذ ذاك فى عربة حنطور من المركز فأقامت ليلة لله .. واشترت عجلاً وزعته على الفقراء احتفالاً بمولد النبى. وأعطت الشيخ الشناوى جنيهين فقرأ الفاتحة على أرواح موتاها، ودعى الله أن يكسبها ويوسع فى رزقها!

ولم يكد عبد الهادى يفرغ من حديثه هذا حتى صاح فيه الشيخ الشناوى أن إحسان هانم ليست كخضرة، وقد غفر الله لها لأنها تصدقت واقامت ليلة لأهل الله واحتفلت بمولد النبى وتبرعت للجامع.

وهم الشيخ الشناوى بأن يروى حديثاً عن امرأة مثلها دخلت

الجنة، غير أن عبد الهادى قاطعه .. "نفسه ـ 215"

أى منطق.. أو لا منطق.. يحكم سلوك الشيخ ويحدد أراءه التي لا علاقة لها بالدين؟!. وما علاقة مولد النبى بالمولد الخاص الذى يقيمه ويسعى، لولا مقاطعة عبد الهادى، للبحث عن حديث يؤيده؟!

المصلحة الخاصة تقف وراء الشيخ، وخمر السلطة المستهدفة هو ما يملى على الشيخ يوسف أن ينتقل من صفوف المعارضة إلى طابور الساعين للحكم، وأن يبحث فى الدين والقرآن عما يتوافق مع أهدافه: أيوه يا شيخ شناوى. أيوه يا سيدنا. ابقى زعق شوية وأنت بتخطب فى الحتة دى، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، يعنى العمدة. هه يعنى اللى ما يطاوعنيش وأنا عمدة يبقى كافر وابن كافر كمان؟! "نفسه ـ 405"

طاعة الله والرسول آخر ما يفكر فيه ويستهدفه الطامح إلى العمودية، وتكفير المخالفين والمعارضين له- باعتبار ما سيكون – هو ما يشغله وليس النص القرآنى الذى يتحمس لتنفيذه حرفياً.

وفى المقابل، يتورط عبد الرحمن الشرقاوى نفسه فى خطاب سياسى زاعق مباشر، ويستغل أرض النبى للهجوم على المملكة العربية السعودية أثناء احتدام خلافاتها السياسية مع مصر الناصرية.

"يخطب" الروائي والراوى في إنشائية عالية الصوت: ومئات من الرجال يموتون على مهل في حفر مظلمة تحت أرض النبى حيث مشت البطولات وعطرت التاريخ، وحيث ورثنا من الماضى أصواتاً عظيمة تؤكد حق البشر فى حياة أفضل، وأن الناس كلهم سواء لا فضل لأحد على غيره إلا بعمله وتقواه. "الفلاح - 61"

وتعود الرواية لتؤكد المعنى نفسه فى إلحاح: هناك شيء ما يجمع عبر الزمن بين الذين يعذبون فى أرض النبى منذ قرون، ... "نفسه - 63"

ويستلهم الراوى الصورة نفسها وهو يتهيأ لزيارة رزق بك الاقطاعى الشرير المستغل: وصورته تتخايل أمامى مختلطة بصورة السفاحين الذين يحملون رءوس ضحاياهم ويتباهون بها فى الطرقات، والذين يدفعون الناس أحياء فى أرض النبى... الجشع يحركهم جميعاً.. كل بطريقته.. ولكن هذا كله ضد منطق الحياة واندفاع الزمن! "نفسه - 64"

ليست المسألة فى الانحياز لمصر وعبد الناصر ضد السعودية وملكها، ولكن القضية تكمن فى الزج بالرسول للدفاع عن نظام ضد نظام آخر. مثل هذا الاستثمار الحماسى تنطبق عليه مقولة الشرقاوى

نفسه: ضد منطق الحياة واندفاع الزمن. ما أسهل أن تذوب وتزول الخلافات السياسية ويتحول العداء إلى صداقة محكومة بالمصالح، أما الصعوبة ففى تحول أرض النبى –وهى ملك لجميع المسلمين– إلى جزء من لعبة فى ساحة الزائل والمؤقت!

❁ ❁ ❁

يتجلى التأثير الأكبر للرسول فى عالم عبد الرحمن الشرقاوى الروائى من خلال تغلغله فى لغة الحياة اليومية عبر عدة مستويات:

– الأمثال الشعبية والتكوينات اللغوية.

– الصلاة على النبى.

– القسم والاسترحام بالنبى.

يندمج النبى فى نسيج عديد من الأمثال الشعبية والتكوينات اللغوية الدارجة التى تظهر فى روايات عبد الرحمن الشرقاوى على ألسنة شخصيات مختلفة لتعكس – فى مجملها – مدى المكانة التى يحتلها الرسول العظيم فى قلوب المسلمين.

لإظهار المبالغة فى الحفاوة والترحيب يظهر تكوين "زارنا

النبى" للتدليل على مكانة الزائر الذى تقاس أهميته عند مستقبله بأعظم وأجل ما يمكن الطموح إليه؛ زيارة النبى.

مثل هذا النمط من الترحيب المتطرف نجده فى الاستقبال الحماسى الذى يقوم به بائع الكتب القديمة الشيخ حمزة دبوس لعبد العزيز خليفة: سلامات يا دكتور.. طيبون.. سلامات.. طيبون.. كل سنة وأنت طيب... ازيك كدة.. دى خطوة عزيزة.. دا احنا زرانا النبى.. "الشوارع - 127"

طوفان من التحيات المبالغ فيها إلى درجة التهويل، والنهاية بالذروة: زارنا النبى!

وعلى النقيض من ذلك، فليس أدل على الطمع والجشع من القدرة على "أكل مال النبى".. القادرون على ممارسة هذا الفعل المستحيل الخارق، لا يقف أمامهم شىء. إنهم لا يعبأون بمقام النبى نفسه ذى القداسة والمكانة، ومن ثم فهم مستطيعون بالضرورة أن يلتهموا الجميع!

تدلل أنصاف على شراهة المشرف الزراعى فى قريتها ومدى لصوصيته بقولها إنه يأكل مال النبى. "الفلاح - 112"

والرواى نفسه متيقن من لصوصية توفيق حسنين الذى يأكل مال النبى. "نفسه - 212"

وثمة تعبير آخر لدفع الحسد ومقاومة الشرور: اسم النبى حارسك.

الست منيرة ترصد بإعجاب نمو إبراهيم وتحصنه فى الوقت نفسه عندما تقول له انت كبرت يا برهومة، اسم النبى حارسك. "قلوب - 27"

وأم إبراهيم تتذكر ازدهار شبابها مقارنة بمنال ابنتها الشابة: دا أمك اتجوزت وهى عندها أربعتاشر سنة.. يعنى أصغر منك بسنة وكانت اسم النبى حارسها تفصل منك تلاته. "نفسه - 65"

وتبدى انصاف اعجابها بالوزير الذى قابلته شاكية، وهو إعجاب مصحوب بالتحصين من العين الحاسدة: طويل وعريض كده اسم النبى حارسه. "الفلاح - 108"

وأخيراً: "النبى قبل الهدية" .. إذا كان النبى نفسه قد فعل، فما أحرى الآخرين بتكرار الفعل وقبول الهدايا. بمثل هذا المنطق يعرض علوانى على وصيفة بطيخة كبيرة من الحقل المكلف بحراسته:

خدى البطيخة دى.. دا النبى قبل الهدية.. "الأرض ـ 23"

البطيخة مسروقة، وعلوانى لا يملك أن يهدى ما ليس له، ولكن اللغة المستخدمة شعبية وموروثة لا علاقة لها بالدين.

الصلاة على النبى واجب دينى بنص الآية القرآنية الكريمة: "إن الله وملائكته يصلون على النبى، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما". "سوة الأحزاب آية 56"

وبقدر ما تمثل الصلاة على النبى فى عالم عبد الرحمن الشرقاوى –وفى الواقع المعيش– انصياعاً للواجب الدينى، فإنها تتلون وتتشكل بما يعبر عن المعانى والممارسات الدنيوية الخالصة والمتباينة.

يرتفع صوت الشيخ الشناوى طالباً من الجالسين أن يصلوا به على النبى... وترددت على الأفواه همسات الصلاة على النبى. "نفسه - 75"

دعوة الشيخ تقابلها استجابة جماعية من الجالسين معه، والدعوة نفسها يكررها عطوة: بقى صلوا عالنبى .. أنا ما يعجبنيش غير..وقبل أن يكمل، وسط الوسوسة بالصلاة على النبى .. "قلوب ـ 283"

ولكن الصلاة على النبى ليست مجرد استجابة دينية، فلها وظائفها المختلفة باختلاف الهدف. قد تكون الصلاة على النبى بـمثابة "رقية" لدفع الحسد ومقاومة التأثير السلبى للعين.

لا يملك إبراهيم إلا أن يصلى على "جمال" النبى وهو يتأمل جمال "يسرية": ولمحتها تضحك مع أخيها وبريق خاطف يشع من أسنانها وعينيها المطبقتين فتمتمت: (اللهم صل على جمال سيدنا النبى).. "نفسه - 14"

ويتأكد المعنى "الدفاعى" و "الوقائى" فيما تفعله أنيسة زوجة الأسطى عبد المعبود التى تبادر كلما ارتفع صوت الراديو رائقاً صافياً، فتستعيذ بالله وتصلى على النبى كأنها ترقيه من العين!! "الشوارع - 254"

كأنها ترقيه من العين!!

وقد تكون الصلاة على النبى تعبيراً عن الاستهانة ووسيلة للتهوين. يصيح عبد الهادى فى الأفندى مساعد مهندس الرى:

– عمدة؟ عمدة إيه يا جدع صلى عالنبى! "الأرض - 67"

ويعقب الشيخ متولى على ما يقوله رضوان حول هزيمة ألمانيا

النازية وتراجعها:

- يا شيخ صلي عالنبي.. نجمهم يأفل إيه.. دول لسه حاكمين الدنيا كلها.. "قلوب - 163"

ويحتد عطوة مهوناً من شأن الخواجة بنايوتي ومستهيناً بأهميته:

- يا جدع صلي عالنبي! بنايوتي إيه؟ "نفسه - 158"

ويستهين شوقي بأبناء القاهرة مرتداً إلى لهجته الريفية كأنه يستعين بها لتأكيد قوته:

- صلي عالنبي يا جدع! حاكم العيال البيض بتوع مصر دول كلهم مايعين! "الشوارع - 45"

الدعوة للصلاة على النبي مقدمة لإظهار اللامبالاة والاستهانة بالعمدة وآراء رضوان وأهمية بنايوتي وأولاد القاهرة. الدعوة إلى الاستعانة بالعظيم الحقيقي -النبي- وتذكره قبل التورط من الإعلاء في شأن من لا يستحقون الاهتمام والمراعاة!

والصلاة على النبي وسيلة ناجحة للتهدئة و"ترويق" الأعصاب و "قصر" الشر.

قبل أن يلجأ عبد الهادى إلى القسوة فى تصفية الخلاف حول الرى مع دياب، يطلب منه أن يصلى به على النبى ويقصر الشر. "الأرض - 176"

تذكر النبى والصلاة عليه لمنع الشر والعودة إلى الهدوء، وكذلك الاستحسان وطلب التركيز. هذا ما نجده فى كل روايات الشرقاوى:

الأرض "94، 196، 326، 354".

قلوب "44، 48، 70، 179، 229، 278".

الشوارع "179، 412".

الفلاح "57، 69، 143".

الانسياق وراء الشيطان وشروره، والغضب وانتفاء التركيز، مما يعنى غياب النبى أو نسيان، وبذكره والصلاة عيه يغيب الشر ويتوارى الشيطان ويزول الغضب ويعود التركيز وتستمر الحياة فى مسارها الطيب المعتاد.

القسم والتوسل والاسترحام بالرسول من السمات اللغوية الشائعة المميزة لعديد من شخوص الشرقاوى.

"والنبى" هى أكثر القسم انتشاراً .. نجدها فى "الأرض" عند وصيفة الطفلة، ووصيفة الشابة الناضجة "29، 34، 39، 40، 228" كما نجدها عند علوانى "23، 56، 65، 128" وعبد الهادى "68، 94، 357" وأم محمد أفندى "197، 202، 202" ومحمد أبو سويلم "334" والشيخ يوسف "334" وعند أشخاص غير محدّدين من الفلاحين والفلاحات "220، 251، 313، 325، 392".

وتنتشر الصيغة نفسها فى "قلوب خالية". تستخدمها منيرة هانم "20، 30، 31، 31، 264" وأم إبراهيم "58، 65، 132، 193" وغانم "34، 183، 188" والغفير سعيد "117" والشيخ متولى "135" وعطوة "259"، وفهيمة "269".

ولا يختلف الأمر فى "الشوارع الخلفية". عند ميمى "14، 117، 121، 122، 376" وأنيسة "121، 122، 259، 427، 498، 499" وعبده "124، 163، 172، 259، 259، 260، 260، 414" وعديلة "98، 239، 239، 239" وأم عديلة "241، 242، 242" وألطاف "243، 356، 357" ورجاء "290، 320" وشويكار "284" ودرية "40" وشوقى "145".

وتتكرر الظاهرة فى "الفلاح" حيث نجد القسم بالنبى عند أنصاف "85، 110"، وتفيدة "214"، وزوجة رزق "58" وعند آخرين لا

نعرف أسماءهم "258، 259".

وقد يتكرر القسم بالنبى مرتين متتالتين كنوع من التأكيد كما تفعل وصيفة "الأرض 24".

وتنم الصيغة نفسها عن اللهفة والسؤال. "نفسه 29، 414"، وقد يضاف إلى الكلمة: "النبى" ما يفيد المزيد من التنظيم والتوقير مثل:"وحياة النبى" و "إيمان النبى" و "شرف النبى" و "شرف المصطفى" و "يمين النبى" وهى أنماط من القسم تنتشر بوفرة فى روايات عبد الرحمن الشرقاوى الأربع.

ويتحول الأمر إلى استرحام مباشر باستخدام عبارات مثل "بحق جاه النبى" و "جاه المصطفى" كما نجد فى "الأرض". 75،340، 405".

وإذا كانت قراء الفاتحة تعنى الصفاء و الاتفاق، فإن الفاتحة للنبى" تظهر عند الشرقاوى لإخفاء المزيد من الجدية. "الأرض" 405"، الفلاح" —284،286،287،288".





فتحي غانم

يحتاج موقف فتحي غانم من الدين إلى دراسة مستقلة لا يتسع المجال لها هنا، وفي مفتتح قصته "بعض الظن اثم بعض الظن حلال" يقول له الصحفي الإنجليزي جورج مكريدي:

- أنت تتهرب في كتاباتك من مواجهة واضحة للدين.. أنا لا أعرف في الحقيقة موقفك.

وعلى الرغم من رد الروائي - الراوي مدللاً بشخصياته التي تتأثر بالدين مثل أم راتب بك في رواية "الرجل الذي فقد ظله" وصالح الأخرس في "زينب والعرش"، فإن الصحفي الإنجليزي لا يقتنع ويقاطعه وعلى شفتيه "ابتسامة وقحة":

- أنا أسأل عن رؤيتك الشخصية ولا أجدها تنعكس على أبطال رواياتك ولا على رؤيتك لمواقفهم في الحياة، إن عامل الدين ليس له تأثير كبير في أية شخصية من الشخصيات. "بعض - 8، 9"

إن اليقين الذي يتكلم به الصحفي الإنجليزي يبدو متهافتاً إذا

تذكرنا عديداً من الشخصيات غير أم راتب وصالح الأخرس: كريم صفوان الجد المسلم المستنير، كريم صفوان الحفيد المسلم المتطرف، يوسف منصور الأب القلق دينياً، يوسف منصور الابن المتطرف دينياً، احمد عبد السلام دياب الموسوس دينياً، يوسف منصور الصحفي الذى تتصارع داخله عواصف الشك ونسمات التصرف. بالإضافة إلى ماريا ساندرو المسيحية الكاثوليكية التى تتزوج مسلماً ويلعب الدين دوراً جوهرياً فى بناء شخصيتها وبخاصة فى علاقتها مع سانت تيريز.

هل صحيح –إذن– ما يقوله جورج من أن عامل الدين ليس له تأثير كبير فى أية شخصية من الشخصيات؟!

لا تقتصر الإجابة على رصد بعض الشخصيات التى تتأثر بالدين، ولكنها تمتد أيضاً إلى البحث عن التأثير الدينى غير المباشر الذى يتعرض له العاديون من الشخوص عند فتحى غانم، الذين يحولون الدين من إطاره الطقسى والعقائدى إلى جزء من نسيج الحياة اليومية.

إن الدين عقيدة وإيمان، والدين نفسه ثقافة وموروث وسلوك يومى. الايمان النهائى اليقينى "يمارسه" العاديون من الناس، ولكن هذا الايمان يمثل قلقاً للخاصة من المثقفين والمفكرين مثل يوسف منصور

الـــذى يرفـض المنطـق التبسـيطى السـاذج لأحمـــد عبـــد الســـلام ديـاب، ويقـول: إن الإيمـان بالكتـاب لا يـأتى قبـل الايمـــان بصــاحب الكتـاب.. والايمـان بالرســـول لا يــأتى قبـل الايمــان بــالذى أرســل الرسول... "زينب، ج1 - 349"

كلمة محمد عبده تـمثل هما فكريـاً ليوسـف منصـور، ولكـن يوسـف منصـور فـى "الأفيـال" لا يحمـل همـا مماثلاً. إنـه يؤمـن باللـــه وبرسوله وملائكته واليوم الآخر ولا يصلى. "الأفيال - 158"

الإيمان بــالدين يتضـمـن الايمـان بالرسـول، والايمـان بالرسـول يتضمن الايمان بالدين، ويتحول الأمر إلى جزء من اللغة الشعبية اليومية التى تترجم المفهوم ببساطة.

طلعت مرسى فرج، المهندس ابن الميكانيكى المليونير، لا علاقة له بالدين، ولكن الرسول يظهر على لسانه بشـكل تلقـائى كجـزء مـن الحياة، فهو يعلـم مستر كلارك الأمريكي مفـردات كثيرة مـن العربيـة العامية، وفى مقدمتها: النبى عربى يا خواجة. "قليل - 14"

وعلاقة المعلمة حكـمت بالدين لا تختلف عن طلعـت، ولكـن هذا لا يمنعها من الدق على صدرها عندما يتعثر جارها عمر عبـد ربـه على السلـم: وبسملت وباسم النبى حارسك. "ست - 169"

يتأثر طلعت وحكمت بموروث دينى جمعى لا يدركان أبعاده، قد يتوارى تأثير الدين بشكل مباشر، ولكن مفرداته ومؤثراته غير المباشرة لا تختفى وبخاصة فيما يتعلق بمكانة الرسول الذى يتحول من نبى إلى جزء من الحياة واللغة.

النبى عربى، والنبى حارس، والنبى جزء من اللغة اليومية وبالتحديد فى صياغات الاستحلاف والاسترحام والقسم بالنبى. تنتشر هذه الصياغات فى عالم فتحى غانم فلا يكاد يخلو منها عمل، وهو انتشار يتجاوز العمر والطبقة والجنس والنمط السلوكى الذى تمارسه الشخصية.

الصغار والكبار، الأغنياء والفقراء، والنساء والرجال، المتدينون وغير المتدنيين؛ الجميع يستحلفون بالنبى ويسترحمون به ويقسمون، ويمكننا أن نتوقف أمام رواية "الرجل الذى فقد ظله" كعينة لرصد هذه الظاهرة.

الاستحلاف بالرسول نجده عند أم مبروكة وهى تترك ابنتها لتعمل خادمة فى بيت راتب بك، فهى لا تجد ما تقدمه لها قبل رحيلها إلا توصية أحد الخدم بها وهى تستحلفه باسم الله والنبى وسيدى إبراهيم الدسوقى. "الرجل، مبروكة ـ 17"

وتكرر مبروكة صنيـع أمهـا بصياغـة مختلفـة، فهـى لا تجـد إلا النبى لـ "تسـوقه" علـى الشيوعى شـوقى محمـود ليكـف عـن النشـاط السياسى الذى يعرضه للخطر: أنا سـايقة عليـك النبـى.. تسيبك مـن الهباب ده.. "نفسه - 141"

ومن الاستحلاف إلى الاسترحام. لا تجد مبروكة -أيضاً- ما تسترحم به "سيدها" مدحت وهو يناوشها جنسياً إلا النبـى: لا سيدى والنبى يا سيدى. "نفسه - 40"

ويصر مدحت على عبثه بجسدها، وتصر علـى اللجوء إلى الصيغـة الدفاعيـة الوحيـدة التـى تعرفهـا... والنبـى بـلاش.. اعمـل معروف.. "نفسه - 41"

وعندما تكتشف أم مدحت ما يفعلانه، تتشبث مبروكة بـالنبى وهـى تتوسـل لسـيدتها باكيـة: أنـا فـى عرضـك يـا سـتى.. والنبـى يـا ستى.. "نفسه - 43"

ولعل القسم بالنبى هو أكثر الصيغ شـيوعاً، فالقسـم بـه نجده عند الخادمة مبروكة، والممثلة الناشئة سامية سامى، والنجم السـينمائى اللامع أنور سامى، والصحفى الكبير محمد ناجى، والصحفـى المبتدىء يوسف السويفى.

في سياقات مختلفة، ولأسباب متباينة، تقسم مبروكة بالنبي.

فهي تستنكر ما يقوله عبد الحميد السويفي عن ممارسات أم راتب بلك أثناء شبابها مستعينة على استنكارها بالنبي: والنبي دى ست كانت طيبة. "نفسه - 63"

وتبدى انزعاجها من الموسيقى الكلاسيكية التي يسمعها يوسف، مقسمة بالنبي لإظهار دهشتها: والنبي إيه اللي عاجبك في دوشة الدماغ دى. "نفسه - 66"

وتقسم بالنبي أيضاً في حماسها لإعداد الشاى ليوسف: والنبي لانا عملاه على طول. "نفسه - 68"

وإلى النبي تلجأ لتستحث يوسف على قراءة قصته التي كتبها عن سعاد:

– والنبي تقرا لى الحكاية اللي كتبتها. "نفسه - 92"

ولا تجد مبروكة أغلى من النبي لتقسم به وهي تطلب من يوسف ألا ينساها بعد موت أبيه: والنبي يا سي يوسف ماتنساش. "نفسه - 124"

والقسم بالنبي لا يسعف مبروكة وحدها، فهو يمتد أيضاً إلى

شخصيات مختلفة فى الثقافة والمستوى الاجتماعى.

سامية سامى تختلف عن مبروكة فى كل شىء، ولكنها تتفق معها فى إدمان القسم بالنبى.

فى أول مكاملة تتلقاها من الممثل النجم أنور سامى، تتساءل: والنبى انت مين؟ "الرجل، سامية - 47"

ولا تستطيع أن تخفى فرحتها باحتفاله واهتمامه بها، فتهتف: والنبى! "نفسه - 48"

وعندما تشتد مضايقات أنور سامى لها، يعدها محمد ناجى بالتدخل، فتسأله بلهفة: والنبى أنا عايز أعرف ها تعمل إيه؟ "نفسه - 101"

ولا يختلف أنور سامى نفسه وهو مختلف كل الاختلاف عن مبروكة وسامية، فى القسم بالنبى.

فإذ تنطلق التعليقات الساخرة من أبوته لسامية، يصيح: اشتموها أحسن والنبى مغلبانى. "نفسه - 132"

وهو يطلب –متفكهاً– قرشاً من شهدى باشا مستعيناً بالنبى: ادينى قرش يا باشا.. والنبى ادينى قرش. "نفسه - 136"

وفى محادثة تليفونية مع يوسف السويفى يخبره بأنه مسـافر إلى بـيروت، ثـم يـردف: اكتـب الخبر ومـا تنسـاش الصـورة والنبـى. "الرجـل، يوسف - 176"

وفـى لحظـات موتـه يرتـد محمـد نـاجى إلى طفولتـه مسـتعيداً ذكريات مندثرة يطـل فيهـا القسـم بـالنبى: يـا واد أنـت ضربتـه ليـه.. والنبى ما هو أنا يا أمه. "الرجل، ناجى - 121"

وفى ردة مماثلة إلى الطفولة يتذكر يوسـف حـواراً مـع صديقـه الشرس ألفش، وفى الحوار يقسم يوسف بالنبى أكثر من مـرة: والنبـى تروحنى.. والنبى. "الرجل، يوسف 40"

الشـخصيات مختلفـة، والتوظيـف متبـاين، والهـدف متنـاقض، ولكن القسم بالنبى هـو الثـابت المشـترك. ليـس القسـم دينيـاً، ولكنـه لغوى.

وقـد لا يعـى الحـالفون مـا فـى لغتهـم مـن موروثـات دينيـة، ولكنهم "يمارسون الموروث".

إن القسم بالنبى هو انعكاس لغـوى اجتـماعى للمكانـة التـى يحتلهـا الرسـول فـى قلـوب المسـلمين بغـض النظـر عـن مـدى إيمـانهم

والـتزامهم الدينـي. ويتضـح هـذا التأثير فـى صياغـات لغويـة أخــرى تتجسد فى "سنة الرسول" كركن أساسى للايمان الدينـى. إن الممارسـة اللغوية للسنة لا ترتبط بالفكر، ولكنها تتوافق مع الممارسـة الطقسـية، ولـذلك نجدها شديدة الارتباط بـممارسة اجتـماعية مثل الزواج الـذى ينبغى لكى يكون شرعياً أن يكـون علـى سـنة اللـه ورسـوله ". وهـى صيغة تتحول إلى "لازمة" من لوازم كريم صفوان فى "بنت من شـبرا". "بنت 69، 79، 80، 81، 82، 84، 89، 91، 96، 97، 102، 104".

أما السنة المرتبطة بأحاديث الرسـول فنجدهـا فـى ثنايـا اللغـة بشكل غير مباشر، ولا يخلو من الانحراف النابع من السياق غير الدينى -فى الأساس- لأحاديث الرسول وكلماته.

من ذلك ما يتردد علـى لسـان عبـد الرحمـن باشـا مكـى أثنـاء ثورته على عبد الهادى النجار بسبب اتهامه بالانحياز لإسمـاعيل صدقـى وتشـهيره بالباشـا: اتـق شـر مــن أحســنت إليــه.. ولا تعلمـوا أولاد السفلة. "زينب، ج1-30"

وعندما يبدى عمر عبد ربه دهشته من مشروع المليونير سـيد الحسينى السينـمائى، على الرغم من اتجاهه الإسلامى:

- هذه مفاجأة، لـم أتصور أنك تهتـم بالسنيما.

يرد الحسينى:

– استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان. "ست - 166"

عبد الرحمن باشا وسيد الحسينى يستعيناان بكلمات الرسول دون أن يذكراه بشكل مباشر، ذلك أنهما يوظفان أحاديثه فى سياق خاص. ربما لا يختلف كثيراً عما يقصده الرسول، ولكنه لا يطابق كل المطابقة.

أبطال وشخوص فتحي غانم لا يتكلمون كثيرا عن الرسول، ولكنهم يتأثرون به. وإذا كانت السطور السابقة قد دللت على التأثر غير المباشر، فإننا نجد تأثراً مباشراً عند كريم صفوان المقبل على الزواج من مسيحية كاثوليكية هى ماريا ساندرو، ولا يجد ما يقنع به الأب لورنزو إلا الاستعانة بسيرة الرسول وقصة زواجه من مارية القبطية: إن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من مارية القبطية التى جاءته من هنا من مصر، فأرادت أن تدخل الإسلام فطلب منها الاحتفاظ بمسيحيتها، ولم يتعجلها قبل أن تدخل الإسلام لأنه لا إكراه فى الدين، ولا شبهة إكراه. "بنت - 100، 101"

ولكن... هل يعى غير المسلمين مكانة الرسول الذى يتمثل به كريم صفوان؟! وهل يعون –قبلا– مفاهيم الدين الذى جاء به؟!

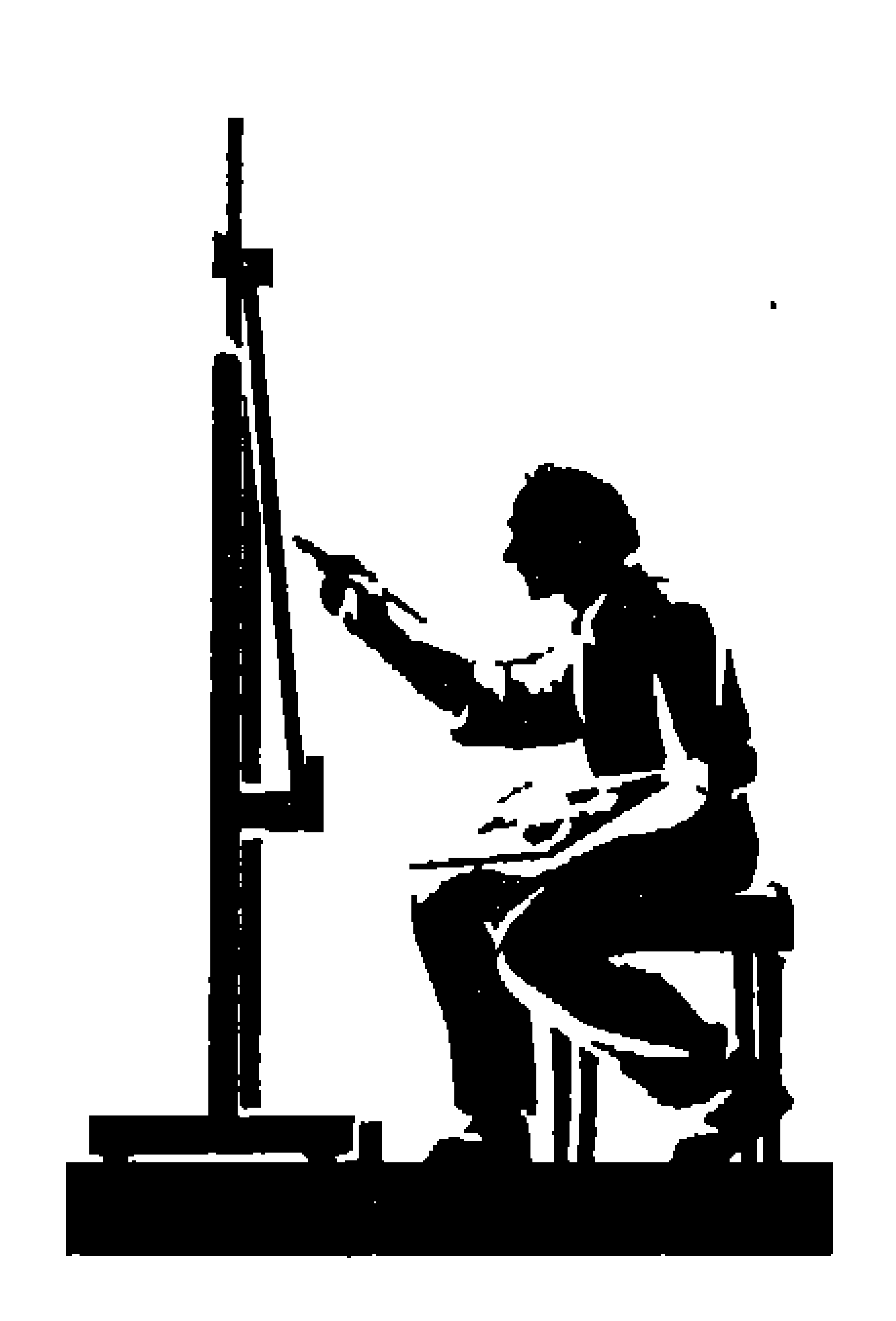
ما الـذى تعرفـه ماريـا سـاندرو نفسـها عـن الديـن الإسـلامى والرسـول؟ إن كريـم بالنسـبة لهـا كـافر، ديانتـه جـاءت مـن صحـراء يسـكنها بـدو غـير متحضريـن. ديـن الحريـم والجـوارى والشـهوات. كان أبوها يقـول عـن المسـلمين: إنهـم أتبـاع رجـل اسمـه محمـد عـاش فـي الصحـراء وسـط بـدو قسـاة أجـلاف، وكـان لـه زوجـات كثيرات. "نفسه - 79"

هذا هو المفهوم الغربى المسيحى للرسول ودينـه، وهـو مفهـوم نابع ممن عاشوا وسط المصريين المسلمين وارتبطوا بهـم. فكيـف يكـون الأمر بالنسبة لغيرهم؟!

إن الموقع الذى يحتله الرسول فى عالـم فتحـى غانـم يكشـف عن مدى اهتـمامه بالدين. ليس صحيحاً ما يقوله الصحفى الانجليزى: إن عامل الدين ليس له تأثير كبير فى أية شخصية من الشخصيات. التأثير موجود، وكبير أيضاً، ولكنه غير مباشر.

۞ ۞ ۞

الفصل الخامس



غازى عبد الرحمن القصيبى

- 1 -

عديدة هى الجوانب التى تتعلق بالرسول فى رواية "شقة الحرية": خصوصية الموقف المصرى فى التعامل معه، التوظيف السياسى له، أحاديثه وسيرته، مكانته بين السنة والشيعة.

تبدى مبكراً خصوصية الموقف المصرى فى التعامل مع الرسول. سائق التاكسى العجوز الأسطى محجوب، الذى يركب معه فؤاد من المطار بمجرد وصوله إلى القاهرة، يهلل عندما يعرف أن البحرين قريبة من السعودية:

- السعودية؟ الحجاز! ما شاء الله. اللهم صل على النبى. مكة والمدينة. اوعدنا يا رب.

بشىء من الحذر حاول فؤاد الايضاح:

- البحرين بعيدة عن الحجاز.

إلا أن حقائق الجغرافيا لم تستطع اقتحام الحلم اللذيذ الذى

لف السائق العجوز:

- ربنا يوعدنا نيجى عندكو، ونزور الحبيب. "28"

تهلل أسارير الوجه، والصلاة على النبى باللسان، وحلم زيارة الحبيب كمادة فى الخيال؛ مفردات تجتمع لتشكل خلاصة الصورة المتميزة التى يتمثلها المصريون لشخصية الرسول كحبيب قريب تخفق له القلوب وتحلق نحوه الأحلام.

وينعكس هذا الولع المصرى بالنبى العظيم فى انتشار القسم به عند طوائف عديدة ومتباينة وفى مناسبات شتى لا رابط بينها.

عم حسنين، وهو جرسون بوفيه كلية الآداب، يقدم فنجان القهوة الثالث لعبد الكريم قائلاً:

- زيادة والنبى يا كريم بيه. "92"

وفى قصتين قصيرتين من قصص عبد الرءوف المضمنتين فى الرواية يتكور القسم. فى قصة "الساعة" تسأل العجوز:

- والنبى الساعة كام يا أستاذ؟ "59"

وفى قصة أخرى، لا عنوان لها، يلتفت زغلول- المتهم بالانتماء إلى جماعة الاخوان المسلمين- إلى الامباشى ويسأله:

- والنبى يا أمباشى محروس ممكن شوية مية أتوضى بيها؟ "135"

وبالنبى أيضاً تقسم مديحة فى حديثها التليفونى الأول مع فؤاد:

- والنبى دمك خفيف. "279"

وكثيرات هن بنات الليل اللاتى تقسمن بالنبى!

يبدى عبد الكريم دهشته من حصول المدام "القوادة" على جنيهين مقابل جنيه واحد لريرى العاهرة:

- لكن ده حرام.

وترد ريرى على الفور:

- مش كده برضه والنبى؟ "118"

وفى غرفة مجاورة ينهمك يعقوب فى شرح مساوئ الرأسمالية من منظور ماركسى، وتوافقه شوشو:

- والنبى ده كلام صحيح."120"

وفى غرفة ثالثة ترفض ديدى مشروع الوحدة المصرية السورية وتقترح وحدة بديلة بين مصر والسعودية! وإذ يعترض فؤاد متذرعا برجعية النظام السعودى الحاكم، تقول ديدى متشبثة برأيها:

– رجعية! بس فيها بترول. والحج. والنبى الوحدة مع السعودية أحسن. "122"

ريرى وشوشو وديدى عاهرات محترفات، ولكنهن مصريات شديدات التأثر باللغة المصرية والأسلوب الشائع فى التعامل مع الرسول.

لا فرق بينهن فى ذلك وبين العم حسنين وأبطال قصص عبد الرءوف ومديحة البرجوازية. الجميع مصريون ومصريات، وريرى – على سبيل المثال– نشأت فى أسرة يقسم أفرادها بالنبى كما تفعل أمها وهى تستغيث بعبد الكريم تليفونيا:

– احنا هنا في القصر العيني. عنبر خمسة. والنبى تلحق ياسى كريم. "352"

القسم دليل حب وتربية، وليس علامة مهنة وثقافة. لا يمكن أن تكون ريرى متدينة، ولكن القسم الذى تدمنه يعكس ايماناً مصرياً خاصاً وخالصاً.

تموت ريرى متأثرة بعملية جراحية، ويدخل عبد الكريم فى غيبوبة طويلة تختلط فيها الذكريات التى تربطه بها وبأصدقائه

المختلفين: زوجتك نفسى أحسن والنبى يا سى كريم. ماجد يغضب عندما يحلف أحد بالنبى. وهابى يدعى أنه قومى تقدمى. ورجعى، بأثر رجعى. لا تحلفوا بالنبى. شرك! لا تقولوا "عبد النبى". كفر! "357"

ريرى لا تشرك بالله عندما تقسم بالنبى، ولكنها تعبر عن حب موروث وإيمان فطرى. النبى واحد، والأساليب مختلفة فى التعامل معه. وفى تداعيات عبد الكريم يتضح تغلغل استخدام القسم عند ريرى: مكتب الشيخ للمحاماه. لا والنبى! خليه مكتب سى كريم للمحاماة. ما انت تخرجت ياسى كريم وبقيت محامى قد الدنيا. "358"

وقرب نهاية الغيبوبة نفسها تطل ريرى ومعها القسم المعهود: خليك جدع واصحى بقى! قوم بقى ياسى كريم! عشان خاطرى! قوم يا ريمو! قوم يا بيبى! طب ده أنا مخاصماك! والنبى لتقوم! "359"

ليس القسم بالنبى دليل شرك وكفر، وليس الامتناع عن القسم دليل ايمان وتوحيد. إنه اختلاف فى التعامل والتعبير عن الحب، وليس اختلافا فى الدين ودرجات الإيمان.

❀ ❀ ❀

يستعين الاخوانى عبد الرءوف بالرسول للتشكيك فى "إسلامية" النظام الناصرى، وهو يفعل ذلك مسلحاً بمعطيات الواقع والممارسات اليومية التى تبرهن على صدق ما يذهب إليه. الإسلام عنده ليس مجرد شعائر، ولكن أن تحكم بكل ما أنزل الله، كله لا بعضه. وهو لا يعبأ باحتجاج صديقه الناصرى فؤاد على مشابهة كلامه لما يقول المشايخ في السعودية: هذا ليس كلام مشايخ. هذا ما أنزله الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم فى قرآنه المجيد. "216"

النظام الناصرى لا يحكم بما أنزل الله، والممارسات اليومية تؤكد أن اهتمامه بعبد الناصر يفوق الاهتمام بالرسول: سوف أعطيك مثلا بسيطاً جداً. قارن عدد المرات التى تذكر فيها وسائل الإعلام اسم جمال عبد الناصر وعدد المرات التى تذكر فيها اسم نبى الله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم، وستعرف أننا فى مجتمع لا يعرف من الإسلام سوى اسمه. "217"

نظام لا يحكم بما أنزل الله ولا يحترم رسول الله، فكيف يكون إسلاميا؟!

ولا يختلف الشيخ محمد أبو زهرة عن عبد الرءوف، فهو يؤمن بوجود تناقض بين القومية العربية والإسلام. وعندما يتساءل

فؤاد:

- ألـم يكن محمد عربيا! ألـم ينزل القرآن باللغة العربية؟

يبادر الشيخ بتوجيه فؤاد للأسلوب الصحيح عند الحديث عن الرسول:

- مـن حسـن الأدب يـا ابنـى مـع رسـول اللـه عليـه الصـلاة والسلام أن تصلى وتسلـم عليه كلما ذكرت اسمه.

وبعد أن ينتهى هذا الدرس التوجيهى الخاص بوجـوب احـترام الرسول والصلاة عليه عند ذكر اسمه، ينتقل الشيخ إلى قلـب السياسـة مبرهناً على التناقض الذى يراه:

- كان النبى عليه الصلاة والسلام عربيا من غير ريـب. بـل إن من العلماء من قال بأنه من أنكر عروبته عليـه السـلام فقـد كفـر لأنـه أنكـر معلومـا بـالضرورة. والقـرآن الكريـم نـزل بلسـان عربـى مبـين. ولكـن يـا فـؤاد عليـك بالدقـة فـى المصطلحات. أنـت لـم تسـألنى عـن العروبـة. سـألتنى عـن القومية العربية. "256"

ويتبختر إسـلام عبـد النـاصر ونظامـه بالاتكـاء علـى معطيـات

الرسول!

تتسع الرواية لكثير من أحاديث الرسول وسيرته. يستعين الشيخ رضوان بملامح من سيرة الرسول ليؤكد بقاء الروح بعد فناء الجسد: وفى السيرة النبوية ما يؤكد ذلك. لقد تكلم الرسول عليه الصلاة والسلام مع المشركين من قتلى بدر وقال إنهم يسمعونه. "251"

ومستعينا بسيرة الرسول يرفض الشيخ محمد أبو زهرة فكرة تكفير المجتمع:

- لا داعى لتكفير الناس. بقى الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة فى مكة يعلم الناس مبادئ التوحيد: لم تطبق التشريعات الإسلامية إلا فى المدينة المنورة. لا داعى للعجلة. النصر مضمون فى النهاية. "257"

الشيخان العالمان: رضوان وأبو زهرة، يرفضان جلسات تحضير الأرواح، وإسلامية النظام الناصرى، ولكنهما يتسلحان بسيرة الرسول لتأكيد بقاء الأرواح ورفض تكفير المجتمع. لا ينفصل الوعى بسيرة الرسول واستلهام دروسها عن الفهم الشامل للدين على ضوء متغيرات العصر، وكذلك أحاديث الرسول التى تتعدد مستويات استخدامها فى رواية غازى القصيبى.

المستوى الأول لغوى يتعلق بتغلغل لغة الحديث فى اللغة الروائية، والثانى يتعلق بأحاديث كاملة يتم الاستشهاد بها وبخاصة حديث الذباب الذى يثير جدلا واسعا، أما المستوى الثالث فيرتبط بالموقف الاستشراقى من أحاديث الرسول.

يتبدى المستوى الأول عند فؤاد فى علاقته مع سعاد البعثية التى تذوب حبا فى "الأستاذ" ميشيل عفلق: ذهب فؤاد مع سعاد إلى سنيما "مترو" مرة وتناولا الفداء فى جزيرة الشاى مرة وزارا جنينة الأسماك مرة. وفى كل مرة كان الأستاذ، كالشيطان، ثالثهما. "80"

الصياغة كلها مأخوذة من الحديث المنسوب إلى الرسول: "ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما"، وفى الحديث الروائى لا يجتمع فؤاد وسعاد إلا وميشيل عفلق ثالثهما!.

أحاديث كاملة للرسول ترد فى رواية "شقة الحرية" لأغراض مختلفة.

هل يملك المجتمع الإسلامى حلاً لمشكلة أمثال "محمدين" بطل قصة عبد الرءوف؟! عبد الرءوف يؤمن بذلك ويدلل على اعتقاده بحديث للرسول: لو أخذنا حديثاً نبوياً واحداً، واحداً فقط، "ما آمن من بات وهو شبعان وجاره جوعان" ودرسناه فى المدارس كما ندرس

تفاهات عبد النـاصر الآن. هـل تعتقـد أنـه سوف يكـون هنـاك أمثـال محمدين؟ لو اهتـم كل انسان بجاره.. هل سيبقى جائع واحد؟ "217"

والشـيخ رضـوان "يراهـن" علـى قـدرة فـؤاد أن يدعــو إلى الإسلام فى الولايـات المتحـدة، و"معـاصى" فـؤاد لا تقـف حـائلا دون ذلك: قال عليه الصلاة والسلام "كل أمتـى معـافى إلا المجـاهرون، وأن من الاجهار أن يعمل العبد بالليل عملا، ثـم يصبح قـد سـتره ربـه عـز وجل فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا". لا تكشـف سـتر اللـه عنك يا ابنى. "454"

بالحديث الأول يدلل عبد الرءوف على قدرة المنهج الإسلامى الذى صاغه الرسول على معالجة مشكلة الفقر، وبالحديث الثانى يشـير الشيخ رضوان إلى الأسلوب الإسلامى الأمثل فـى التعـامل مـع أخطـاء الأفراد وخطاياهم.

ويبقى حديث ثالث يكشف عن التفاوت الكبير بين المسـلمين فى التعامل مع دينهم وأحاديث رسولهم: حديث الذباب!

يحكى ماجد عن "مطوع" جاء مـن بلدتهـم فـى السـعودية إلى القاهرة للعلاج:

– وذهبت أزوره. بدأ فوبخني لأني حليق اللحية. ثم تطرق الكلام إلى حديث الذباب وقلت له إنني كشخص يدرس الطب لا يمكن أن أصدق أن الرسول قال إن في جناح الذبابة شفاء من الأمراض التي يحملها الجناح الآخر، فغضب وقال إن علي أن استغفر وأتوب.

ويعلق براك على ما يحكيه ماجد:

– هذا مثل جيد للأشياء التي تطرح باسم الإسلام. هل يمكنني وأنا طبيب، أن أشيد بنظافة الذباب، أو أختن البنات؟ "274"

المطوع السعودي متحمس للحديث بتطرف يستوجب توبة من ينكره أو يناقشه، أما الشيخ محمد أبو زهرة فيحتد على تلميذه فؤاد عندما يسأله عن صحة الحديث متأثراً بالحوار السابق:

على خلاف عادته ينفجر الشيخ:

– حديث الذباب؟! اشمعنى؟! حررنا فلسطين؟! حررنا كشمير؟! وحدنا الأمة الإسلامية؟! أنهينا كل مشاكلنا ولم يبق إلا حديث الذباب؟!

يؤخذ فؤاد على حين غرة، بهذه الثورة، ويتعلثم:

– آسف.. آسف يا فضيلة الشيخ. كنت فقط أريد أن أعرف إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قاله بالفعل.

وتستمر ثورة الشيخ:

– هل أجبرك أحد على أن تأكل من إناء وقع فيه الذباب؟! هل أصدرت أى حكومة قراراً بقتل كل من لا يأكل من إناء وقع فيه الذباب؟! هل قال عليه الصلاة والسلام إن الذى لا يفعل هذا يخلد فى النار؟! ارم الطبق يا أخى! ارمه بما فيه!

يحمر وجه فؤاد ويطرق خجلا ويستعيد الشيخ هدوءه وجزءاً من ابتسامته:

– هذا الحديث يا ابنى شغل المستشرقين الشاغل. ألفوا عنه الكتب. ولا يزالون يثيرون الشبهات عن طريقه. هذا سبب غضبى. بحثوا فى هذا الحديث وكأن كتب السنة المطهرة لم تحو غيره. "281"

حديث واحد وموقفان متناقضان: أهو صحيح لا يقبل الشك؟ أم حديث آحاد لا يفيد سوى الظن؟ ليست المسألة أن يأكل المسلم أو لا يأكل، ولكنها فى مدى صحة الحديث المنسوب إلى

الرسول ومدى صحة الأحاديث المشابهة التى انشغل بها المستشرقون للتشكيك فى الإسلام.

الموقف الاستشراقى المعادى يمثله شاخت، الذى يتعرض للعنات الشيخ أبو زهرة لأنه يسعى إلى إلغاء أحاديث الرسول كلها والزعم بأنها موضوعة: شاخت مستشرق ابن كلب شكك فى السنة النبوية. قضى حياته كلها يدرس السنة النبوية بهدف واحد وهو التشكيك فيها. قضى سنين طويلة فى مصر. يزعم أن كل أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام موضوعة كلها! "453"

هل يختلف تطرف شاخت عن تطرف المطوع السعودى؟

❀ ❀ ❀

ويبقى الخلاف التاريخى بين السنة والشيعة وظلاله على الموقف من الرسول.

شكوك كثيرة تراود أهل السنة حول موقف الشيعة من الرسول وسنته، وهو ما يتجلى فى بعض الأسئلة التى يتعرض لها "الشيعى" عبد الكريم فى القاهرة من مدرسه خريج الأزهر:

–لماذا لا تعترفون بأحاديث السنة؟

–لماذا لا تصلون مع السنة؟

– لماذا تكرهون السنة؟ "49"

الإجابة جاهزة ومعارضة: والأحاديث التى يرويها الشيعة منقولة عن الأئمة من أهل البيت. وإذا كانت ثمة مشكلة فهى فى أحاديث السنة. "50"

الشكوك متبادلة، وما يراه عبد الكريم هو الوحدة لا الفرقة: ألا يكفى أن نكون مسلمين نؤمن برب واحد وكتاب واحد وقبلة واحدة؟. "403"

الواقع خير إجابه!



- 2 -

بعد حادث السيارة الذى أودى بحياة سوزى، يتعرض البرفسور لاتهام مباشر بأنه تسبب-بمشاجرته العنيفة معها- فى انفعالها الذى أدى إلى الحادث المميت، وترتب على الاتهام استجواب نفسى مرهق بمعرفة الدكتور جونسون. وفى التحقيق ينفى البرفسور مسئوليته عن موت صديقته: "وفاتها لا تحتاج إلى تفسير. ماتت لأن أجلها انتهى. ماتت في يومها". ويرد الدكتور جونسون على الفور: "انتم المحمديين.."، فيقاطعه البروفسور على الرغم من حالة الانهيار التى يعانيها: "عفوا نحن نسمى أنفسنا المسلمين". "87"

لعل هذا التمييز الصارم بين الإسلام والنبى، بين الرسالة ومبلغ الرسالة، هو المدخل الصحيح لفهم الموقع الذى يحتله الرسول في "العصفورية". البروفسور حريص كل الحرص على القول بأنه "مسلم وليس "محمدياً"، وأن الانتساب الصحيح ينبغى أن يكون

للدين وليس للرسـول. فـإذ يعـود الدكتـور جونسـون إلى مخاطبتـه فـى الحوار بينهما قـائلاً: "أنتـم المحمديـين.."، يقاطعـه البروفسـور مؤكـداً: "سبق أن قلت لك إننا نسمى أنفسنا المسلمين".

وسرعان ما يتدارك جونسون –بلا مقاطعة أو تنبيه– فيخطئ ويصـوب لنفسـه: "ألا تؤمنـون معشـر المحمديـين.. أعنـى المسـلمين بالتوراة؟". "88"

مسـلمون وليسـوا محمديين، وموحـدون باللـه دون شـريك ينازعه الألوهية، ومحبون للرسول فى إطار أنه رسول اللـه ومبلغ دعوته وليس باعتباره مؤلف الرسالة أو مخترع الدين.

فى هذا السياق يمكننا أن نفهـم الموقـف "المتشـدد" للبرفسـور تجاه أمـير الشـعراء أحمـد شـوقى وشـاعر النيـل حـافظ إبراهيـم لأنهمـا "تجـاوزا" حـدود حريـة الإبـداع والتعبـير واقتحمـا القواعـد الأساسـية والثوابت الراسخة فى الفكر الإسلامى.

يعترض البرفسـور علـى مـا ورد فـى "الهمزيـة النبويـة" لأحمـد شوقي: والبرنس، سامحه اللـه، يقول إنه جاء بـاب النبـى عليـه الصـلاة والسلام داعياً. وهذا لايجوز. القرآن الكريم يقـول بوضـوح مـا بعـده وضوح: "فلا تدعوا مع اللـه أحدا". لا من الأنبيـاء، ولا مـن الملائكـة،

ولا من الأولياء، ولا من الصالحين، ولا من الملوك. "37"

البيت المقصود في قصيدة شوقي، هو:

ما جئت بابك مادحاً بل "داعياً" ومن المديح تضرع ودعاء

يحق للشاعر -عندالبرفسور- أن يمدح الرسول معبراً عن حبه، ولكن لا يحق له الدعاء. النص القرآني وضح صريح مباشر: "فلا تدعوا مع الله أحدا"، وبيت شوقي واضح المعنى: "داعياً". ولا متسع للخلاف .

أما شاعر النيل حافظ إبراهيم فيرثي صديقه وأستاذه مفتي الديار المصرية الإمام محمد عبده، قائلاً:

سلام على الإسلام بعد محمد سلام على أيامه النضرات

ويرى البرفسور أن البيت "بذئ" و "بذئ جداً". لماذا؟: الإسلام لا يموت بموت أحد. حتى الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقل أحد أن الإسلام انتهى بوفاته. وحافظ إبراهيم يودع الإسلام بعد محمد عبده. "28"

"حتى" هي المفتاح. لا مجال للمقارنة بطبيعة الحال بين الرسول الكريم و الإمام محمد عبده، ولا مجال للشك في أن موت الرسول

أكثر فداحة – بما لا يقاس –من موت الإمام، فهل يعقل أن "ينتهى" الإسلام بعد موت المفتي وهو الذى لم ينته بموت النبى صاحب الرسالة إن "حتى" تكشف ما لا يحتاج إلى كشف: تميز الرسول وعظمته وابتعاده عن دائرة المقارنات مع غيره من البشر، وهى تكشف أيضاً عن أهمية التمييز بين "الرسالة" و "الرسول". الرسالة خالدة لا تموت، والرسول بشر يخضع لما يخضع له البشر من القوانين و الأحكام التى تتعلق بالموت.

* * *

فى حياة الرسول الغنية وسيرته العطرة ما يفيد المسلمين ويشرح أحكام الدين ويحسم الخلافات، وفى أحاديثه الصحيحة ما يؤدى الهدف نفسه. وهذا ما تجسده "العصفورية"..

المخرج والمنتج السينمائى مصطفى العقاد يحلم –وهو طالب يدرس السينما فى جامعة جنوب كاليفورنيا– بإخراج فيلم عن السيرة النبوية. وقد حقق حلمه بإخراج فيلم الرسالة ثم عمر المختار. وتكبد من الخسائر فى سبيل إخراج الفيلمين ما تكبد. "71"

أليست مأساة أن يتعرض فيلم عن السيرة النبوية لخسارة مادية فادحة وفى العالم بليون مسلم؟! ما لم تقله الرواية أن الخسارة نتيجة منطقية لحملة العداء الشرسة التى واجه بها المسلمون أنفسهم فيلم مصطفى العقاد، وإن هذا العداء مرتبط بتصور قاصر عن قداسة تخرج عن حدود الاعتدال لشخصية الرسول.

كان الفيلم –والأفلام المماثلة المجهضة– قادراً على تقديم صورة صحيحة مشرقة عن الإسلام والنبى، فلم يكن عهد النبوة إلا درساً عملياً لعظمة الإسلام ورسوله. وفى حوار البرفسور مع ممثل الإسلام السياسى الدكتور ضياء المهتدى، يقول: ثم ما هذه النظرة الدموية العنيفة؟ جماجم وأشلاء!! لم لا نأخذ دروساً من انتصار الإسلام فى عهد النبوة. لم يكن الطريق مفروشاً بالجماجم والأشلاء. سقط عدد من الشهداء فى كل غزوة. ولكن كم عدد الذين استشهدوا فى الغزوات كلها؟ قال فضيلة الدكتور ضياء المهتدى: "لا توجد لدى إحصائية" قلت: "ولا لدى. ولكنى أشك أن العدد تجاوز المئات، وإن تجاوزه فإلى عدد قليل من الآلاف. لم يكن الطريق مفروشاً بالجماجم والأشلاء. كان مفروشاً بالحب والحكمة والعفو عند المقدرة والتسامح. لم يبدأ الرسول عليه السلام بحرب قط. قال:

هذه قراءة رومانسية للتاريخ، يا بروفسور" "278"

"الحب"و "الحكمة" و"الموعظة الحسنة" و"العفو عند المقدرة" و"التسامح" و"تجنب العدوان"؛ كلها صفات وممارسات ملازمة للرسول ومعبرة عنه، وليس للمسلمين عذر فى تنكرهم لهذه المفردات وانتصارهم لما يرونه متوافقاً مع أفكارهم السياسية المعاصرة التى تقف على أرضية الانتماء للإسلام. هل ما يقوله البرفسور يدخل فى نطاق التفسير "الرومانسى" للتاريخ.. أم أن الرؤية المضادة هى التى تعجز عن الرد فتلجأ إلى التهويم و إطلاق الشعارات العامة الفضفاضة دون وعى بأبعادها؟!

لم تكن المرة الوحيدة التى يعجز فيها مندوب الإسلام السياسى عن الرد المقنع، ففى الحوار نفسه يقول البرفسور: ولكن جماعة المسلمين تؤمن أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "الأئمة من قريش" هل أنت يا فضيلة الدكتور من قريش؟. وإذ يقول الدكتور: "هذا العبد الضعيف العاجز ليس قضية". قلت:"ماذا ستقول لمن يزعم أنك خالفت التصور الإسلامى عندما تطلعت إلى الحكم وأنت لست من قريش؟". قال: "أقول له ما قلت لك. شخصى ليس القضية". "276"

أهـي إجابـة أم تخلـص مـن الإجابـة؟!. الحديـث المنســوب إلى الرسول ينص على أن الأمـام -الخليفـة- لابـد أن يكـون قرشـياً، فمـا علاقة ذلك بالإجابة التى لا تحمل إجابة؟!. جوهر القضيـــة الحقيقيـة أن مفهوم "الحاكـمية" كـما يبشر به سيد قطـب ويؤمـن الدكتـور ضيـاء، لـن يحـل مشـكلة بـل سـيثير ألـف مشـكلة. هـذه كلمـة لــم تـرد فــي القـرآن الكريـم ولا فـي الســنة الصحيحــة ولا فــي أقــوال الســلف الصالح. "267"

"القرآن الكريم" و "الســنة الصحيحـة" هـمـا الفيصـل وليـس سيد قطب والدكتور السياسـى. وفـى سيرة الرسـول مـا يفتـح البـاب واسعاً أمام حق الاجتهاد والاختـلاف والتعددية، ومـا يغلـق البـاب – تـماماً – أمام محاولات التوظيف السياسـى قصير النظـر محتكـر اليقـين مكفر الآخرين.

ما معنى أن هناك حزباً واحداً للـه وأحزاباً أخرى للشـياطين؟! ألـم تشهد مرحلة صدر الإسلام ومرحلة النبوة نفسها تعـدداً واختلافـاً بـين الصحابـة؟ كـان المهـاجرون والأنصـار صفـاً واحـداً فـى مواجهــة الأعـداء، وكـان الأمـر بينهـم مختلفـاً كـل الاختــلاف: كــانت هنــاك مناوشـات تعرفها كـما أعرفها، تداركتها، دائماً، حكـمة الرسول عليـه

الصلاة والسلام. وأنت تعرف ما حدث فى أعقاب غزوة حنين، وكيف غضب الأنصار، وكيف هدأهم عليه السلام. بعد وفاته صلى الله عليه وسلم برز الأنصار حزباً سياسياً فى مواجهة حزب المهاجرين. "275"

إذا كانت أصول فكرة الحزبية قائمة فى حياة الرسول عليه السلام، وازدادت وضوحاً ونمواً بعد رحيله، فكيف نحرم ونجرم اليوم ما كان موجوداً ومعترفاً به في مرحلة مضيئة تمثل -بإجماع الآراء- ذروة النجاح والازدهار؟!

ونموذج آخر مستمد من حياة الرسول ينسف ما يبشر به سيد قطب من رفض الإسلام -كما يفهمه- لأنصاف الحلول مع الجاهلية، والرد المفحم للبروفسور: ألم يكن صلح الحديبية من أنصاف الحلول؟ أليس تأليف قلوب الكفار الذين يخشى أذاهم من أنصاف الحلول؟. قال فضيلة الدكتور ضياء المهتدى: "خلطت بين البداية والنهاية. في البداية، كانت هناك دعوة، لها متطلباتها وظروفها. فى النهاية استقرت الأمور، دعوة وجهاد. ولا تعايش بين إسلام وكفر". قلت: "ولكن الإسلام ضعيف اليوم يا أخى ضياء. ألا ترى أن الحرب ضد الكفار الآن ستضعفه أكثر فأكثر؟". "277، 278"

إن الفارق بين إسـلام البرفسـور وإسـلام الدكتـور ضيـاء هـو نفسه الفارق بين الواعين بضرورة الفهم العصرى والقادرين عليه من ناحية والمتـمسكين بالفهم الآلى الجامد والمغلقين عليه من ناحية أخرى. والأزمة كلها تكـمن في مدى إيمان الجميع بالتعايش تحـت مظلة أنهـم مسـلمون لا يملـك فريـق منهـم أن يكفـر فريقـاً أو يسـلب منـه صفـة الايمان.

۞ ۞ ۞

مر بنا الحديث المنسوب للرسول عن حتـمية أن يكون الخليفة قرشياً، وفي "العصفورية" أحاديث نبوية أخرى.

قد يتسرب جزء من الحديث –معنى ولفظـاً– إلى مـتن السـرد كـما نجـد فـي حـوار البرفسـور مـع الدكتـور ضيـاء: "كـل بنـي آدم خطاؤون". "248"

والعبارة جزء من الحديث الصحيح للرسـول: "كـل بنـي آدم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون. واللـه، لئن لـم تخطئوا وتسـتغفروا، لذهب اللـه بكـم، وأتى بقوم آخرين يخطئون ويسـتغفرون فيغفـر اللـه

وقد تأتى الأحاديث كاملة كما نجد فى الليلة السابقة لتنفيذ حكم الإعدام فى البروفسور، فالدكتور ضياء المهتدى -المحكوم عليه بالإعدام أيضاً- يزور البرفسور مؤدياً وظيفته الإضافية الإجبارية فى السجن: ويطلبون منى قضاء بعض الوقت مع المحكوم عليهم بالإعدام. "246"

يطلب البرفسور من محدثه أن يسمعه مجموعة من الأحاديث النبوية وفى هذه الاختيارات -عشية تنفيذ حكم الإعدام- ما ينم عن شخصية البرفسور ومفاهيمه الدينية من ناحية وما يكشف عن طبيعة الدين الإسلامى من خلال الأحاديث النبوية وما تتسم به من تسامح وحس إنسانى رفيع مرهف من ناحية ثانية.

أول هذه الأحاديث ما يسميه البرفسور حديث"وإن رغم أنف أبى ذر"، ويستجيب الدكتور ضياء ويروى الحديث كاملاً:

قال أبو ذر رضى الله عنه: أتيت النبى صلى الله عليه وسلم، وهو نائم، عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه، فقال: "ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة". قلت: "وإن زنى وإن

سرق؟".قال: "وإن زنى وإن سرق". ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذر". قال فخرج أبو ذر وهو يقول: "وإن رغم أنف أبي ذر".

ينتهي الحديث ويعلق البرفسور: "وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدك يا أخي ضياء أني أقول لا إله إلا الله ومحمد رسول الله مؤمناً صادقاً، وأرجو أن أموت على ذلك." "246"

ليس الاختيار عبثاً، فجوهر الحديث هو "التوحيد" كسمة ملازمة للمسلم الحقيقي. الجنة من نصيب المؤمنين بأنه لا إله إلا الله، وهؤلاء المؤمنون –بحكم آدميتهم– معرضون للخطأ، فقد يزنون وقد يسرقون، ولكن الله يغفر لهم أخطاءهم ما خلصت نيتهم في الإيمان والتوحيد. وليس عنوان الحديث: "وإن رغم أنف أبي ذر؟، إلا بمثابة التأكيد على رفض الرسول نفسه للتنطع والتشدد والمغالاة، وممارسته العملية للسماحة والتيسير.

ثم يطلب البرفسور الحديث الثاني عن "الرجل الذي اختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب"، ويستجيب الدكتور:

– عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل

قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض. فدل على راهب، فأتاه، فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة، فقال لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل من توبة؟ قال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله عز وجل، فاعبد الله تعالى معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء". فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب: فقالت ملائكة الرحمة: "جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله عز وجل". قالت ملائكة العذاب: "إنه لم يعمل خيراً قط".... فأتاهم ملك في صوت آدمي. فجعلوه بينهم فقال: "قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له". فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد. فقبضه ملائكة الرحمة. وجاء في رواية: فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى.

ينتهى الحديث ويعلق البرفسور: "إنى، والله! لأرجو من الله الخير الكثير". ويضيف الدكتور حديثاً يؤكد تعليق البرفسور: لا يموتن

أحدكم إلا هو محسن بالله الظن. "246،247"

كم من البشر العاديين تجاوزت سيئاتهم وأخطاؤهم ما فعله الرجل الذى قتل مئة نفس؟!

إن باب التوبة مفتوح أمام القاتل المتطرف، وباب المغفرة متسع. أفلا يحق للبشر -الأقل إساءة- أن يتوبوا ويأملوا فى الغفران؟ التوحيد هو الأساس، واخطاء الإنسان واردة وحتمية، والتوبة متاحة لمن يخلص النية فيها، وأحاديث الرسول التى يختارها البرفسور -بعناية وقصدية- تؤكد رحابة الإسلام الذى لا يسئ إليه المتشددون المتنطعون الذين يشبهون الراهب المتزمت الذى قرر -كأنه الله- عدم قبول التوبة من العبد النادم الحريص على الاستقامة!

أما الحديث الثالث الذى يرويه الدكتور ضياء، فيسميه البرفسور حديث "المؤمن الذى يحب الله لقاءه:

عن شريح بن هانى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه". قال: "فأتيت عائشة فقلت: "يا أم المؤمنين! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً إذا كان كذلك فقد هلكنا" فقالت: إن الهالك من هلك بقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذاك؟". قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه". وليس أحد منا إلا ويكره الموت. فقالت: "قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالذى تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره ألله لقاءه".

ويعلق البرفسور: "أشهد الله وملائكته وأشهدك يا أخى ضياء أنى أحب لقاء الله عز وجل على كل حال". "247"

لم ينفذ حكم الإعدام، ولكن أحاديث الرسول وكلماته المضيئة الخالدة هى آخرْ ما كان يطمع البرفسور فى سماعه والتزود به.

الاستماع الواعى الايجابى الذى يتهيأ به نفسياً وروحياً لمغادرة الدنيا من باب التوبة والايمان، والولوج إلى الآخرة —حيث الحساب والثواب والعقاب— من باب الرحمة والمغفرة.

❁ ❁ ❁

تنويـــه

– تـم اختصار عناوين مؤلفات نجيب محفوظ الورادة فـى مـتن الدراسة على النحو التالى:

خان الخليلى = خان	زقاق المدق = زقاق
بداية ونهاية = بداية	بين القصرين = بين
قصر الشوق = قصر	السكرية = السكرية
الطريق = الطريق	ثرثرة فوق النيل = ثرثرة
ميرامار= ميرامار	خمارة القط الاسود = خمارة
حكاية بلا بداية ولا نهاية = حكاية	المرايا = المرايا
الحب تحت المطر= الحب تحت	الكرنك = الكرنك
حكايات حارتنا = حكايات	قلب الليل = قلب

الحرافيش = الحرافيش

الشيطان يعظ = الشيطان

الباقي من الزمن ساعة = الباقي

رحلة ابن فطومة = رحلة

يوم قتل الزعيم = يوم

حديث الصباح والمساء = حديث

صباح الورد = صباح

الفجر الكاذب = الفجر

- كما تم اختصار عناوين مؤلفات إحسان عبد القدوس كالتالي:

الوسادة الخالية= الوسادة

الطريق المسدود= الطريق

لا أنام= لا أنام

فى بيتنا رجل= فى بيتنا

شئ فى صدرى= شئ

عقلي وقلبي= عقلي

منتهى الحب= منتهى

البنات والصيف= البنات

لا تطفئ الشمس= لا تطفئ

زوجة أحمد= زوجة

شفتاه= شفتاه

ثقوب فى الثوب الأسود= ثقوب

لا.. ليس جسدك= لا.. ليس

لا شئ يهم= لاشئ

بنت السلطان= بنت

أنف وثلاث عيون= أنف

الهزيمة كان اسمها فاطمة= الهزيمة

الرصاصة لا تزال فى جيبي= الرصاصة

لا تتركونى هنا وحدى= لا تتركونى

زوجات ضائعات= زوجات

الحب فى رحاب الله= الحب

وتاهت بعد العمر الطويل= وتاهت

آسف.. لم أعد أستطيع= آسف

الحياة فوق الضباب= الحياة

وعاشت بين أصابعه= وعاشت

- واختصرت مؤلفات عبد الرحمن الشرقاوى كالتالى:

الأرض= الأرض

الشوارع الخلفية= الشوارع

قلوب خالية= قلوب

الفلاح= الفلاح

ومؤلفات فتحى غانم كالتالى:

الرجل الذى فقد ظله = الرجل

الأفيال = الأفيال

قليل من الحب كثير من العنف= قليل

بعض الظن اثم بعض الظن حلال= بعض

زينب والعرش= زينب

بنت من شبرا= بنت

ست الحسن والجمال= ست

- وبالنسبة لروايتى غازى القصيبى فقد تم الاكتفاء بذكر أرقام الصفحات فى كل رواية على حدة.

المحتويات

بورتريه

بين الأدب والتاريخ خطوط فاصلة ، غير أنها كثيراً ما تتلاشى ؛ فتسرد الحوادث التاريخية فصول أروع الملاحم الأدبية ، ويغوص الأدب فيما جرى ويجرى ، ليخرج علينا بأصدق نظريات فلسفة التاريخ .

وفى حياة الأمم والشعوب عباقرة وعظماء ، صاغوا من أعمارهم ملامح ومقادير أوطانهم ، وألهبوا بجلائل أعمالهم أفكار وأخيلة الأدباء .

ومن ثنايا صفحات الأدب العربى ، تحاول هذه السلسلة أن تستخلص لكل من هؤلاء العباقرة العظماء « بورتيه » ، لا يحمل من التاريخ ظل التسييس وهوى الغرض ، بقدر ما يحمل من الأدب شفافية التناول ونبل المرمى .

الناشر

